د. الشفيع الماحي أحمد

رواية

توما للإنجيل

بين

رواية غيره من الحواريين



رواية

توما للإنجيل

بين رواية غيره من الحواريين


http://kotob.has.it

د. الشفيع الماحي أحمد

رواية

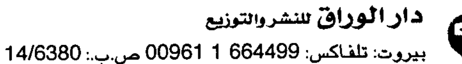
توما للإنجيل

بين رواية غيره من الحواريين



الطبعة الأولى
٢٠٠٣م / ١٤٢٤ هـ




دار الوراق للنشر والتوزيع
بيروت: تلفاكس: 664499 1 00961 ص.ب.: 14/6380
دمشق: هاتف: 2230914 11 00963 ص.ب.: 7603
الرياض: هاتف: 4162527 1 00966 ص.ب:250641 الرمز11391
e-mail: warrak@zajil.net www.daralwarak.com

الفهرست



تمهيـــد

عثر الفلاحون في نجع حمادى بصعيد مصر عام ١٩٤٥ وبطريق الصدفة على جرة طينية قديمة تحتوى على ثلاثة عشر مجلداً، يقدر عدد أوراقها بحوالي ألف ورقة من ورق البردي. وهي في مجموعها تؤلف حوالي ٤٩ عمـلاً مكتوبة باللغة القبطية القديمة، ومعظمها مجهول تماماً لدى العلماء والباحثين.

أثارت هذه الأعمال المكتشفة دهشة وانبهار العلماء في مختلف دول العالم، وقورنت في أهميتها بمخطوطات البحر الميت المشهورة. ولكن ليس من بينها من نال الإعجاب. واسترعى الاهتمام وحظى بالترجمة والدراسة مثل إنجيل توما، إذ هو في الواقع حصيلة لمائة وأربعة عشر قولاً من أقوال المسيح عليه السلام، تتطابق من حيث المحتوى وتتشابه من حيث المضمون مع باقي الأناجيل المعتمدة لدى النصارى.

غير أن رواية توما ضمن روايات كثيرة لأقوال المسيح وتعاليمه عدت في رأى الكنيسة وعند محققي النصرانية من الروايات المحكوم ببطلانها والمرفوضة. وبالتالي لا يعتد بها كمكتوب يحمل اسم الإنجيل كغيره من المكتوبات، وتهدف هذه الدراسة في المقام الأول إلى وضع روايته في موضعها الطبيعي بين روايات إخوانه من الحواريين، وذلك بالمقارنة والشرح والتحليل.


http://kotob.has.it

الفصل الأول

يهـــوذا تومـــا

على الرغم من الاختلاف البين في قائمة أسماء رسل المسيح عليه السلام وتلامذته، وعدم اتفاق الحواريين أنفسهم في روايتهم للإنجيل على قائمة موحدة للحواريين الاثنى عشر، إلا أن معظمهم قد ذكر الحواري يهوذا (توما). لا باسمه الذي حمله منذ ميلاده، بل بلقب توما، جاء ذلك ضمن سياق رواية كل من مرقس ومتى ولوقا للكيفية التي اختار بها عيسى تلامذته، نكتفي منها برواية لوقا، جاء فيها:

"وفي تلك الأيام خرج (عيسى) إلى الجبل ليصلى، وقضى الليل كله في الصلاة لله، ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً، سمعان الذي سماه أيضاً بطرس واندراوس أخاه، يعقوب ويوحنا، فيلبس وبرثولماوس، متى وتوما، يعقوب بن حلفي، وسمعان الذي يدعى الغيور، يهوذا أخا يعقوب، ويهوذا الإسخريوطى الذي صار مسلماً أيضاً" [(١)].

أما قائمة برنابا لأسماء الحواريين فجاءت هي الأخرى موافقة لرواية لوقا في الكيفية والوقت الذي انتقى فيه حوارييه، ولكنها خلت من لقب يهوذا، قال فيها:

"فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثنى عشر سماهم رسلاً، منهم

---

(١) إنجيل لوقا ٦: ٣ ـ ٦.

يهوذا الذي صلب، أما أسماؤهم فهي: اندراوس واخوه بطرس الصياد، وبرنابا الذي كتب هذا مع متى العشار الذي كان يجلس للجباية، يوحنا ويعقوب أبناء زبدى تداوس ويهوذا، برتولماوس، وفيلبس يعقوب، ويهوذا الاسخريوطى الخائن" [١].

ينطق لقب الحواري يهوذا في اللغة الآرامية توما وفي العبرية تئوم وفي السريانية تاما وترجم اللقب إلى اللغة اليونانية Didymus ديديموس، ويعنى على تعدد قراءته وصور نطقه التوأم، أي المولود مع غيره من بطن واحدة، واللقب وفيما يبدو من رواية دائرة المعارف البريطانية والتي ذهبت إلى أنه "كان توأم للمسيح عيسى"[٢] ليس لقباً حقيقياً، بل أطلق عليه في أغلب الأحوال وأرجحها مراعاة لما بينه وبين المسيح من مواءمة في الخلق، وموافقة في العشرة، واتفاقهما في المحبة والوداد، ونتيجة طبيعية لتلك المعاني والتي تفيد مدحاً له، وحسن بالثناء عليه، ارتبط به اللقب ولزمه ملازمة الصفة بموصوفها، فسمى يهوذا التوأم، وحل الاسم في كتابات إخوانه الحواريين محل اسمه الحقيقي.

إن القليل الذي يعرف حتى الآن عن يهوذا توما أورده يوحنا في مواطن متفرقة من إنجيله[٣]، في حين لم يظهر اسمه من الأناجيل الثلاثة الأخرى إلا ضمن قائمة أسماء تلاميذ المسيح، ومن المواقف والوقائع التي أرخ له فيها يوحنا، تشكلت عند النصارى ومحققي النصرانية بعضاً من جوانب شخصية توما وصفاته النفسية وطريقة تفكيره.

فمما ذكره يوحنا من أحداث وفيها التعبير الدقيق عن انفعاله عند استثارته في موقف معين، وردة فعله إزاء ذلك الموقف الذي يخفف به قوة مشاعره وشدة أحاسيسه. يتضح أن مزاجه النفسي كان فيه حدة تجعله نافذ الصبر، وتحيل وسلوكه إلى عدوانية ظاهرة.

---

(١) إنجيل برنابا ص ٥٢.

(٢) The New Encyclopaedia Britannica Vol. 11 P 712

(٣) إنجيل يوحنا ١١: ١ ـ ١٨ و١٤: ١ ـ ٧ و٢٠: ١٩ ـ ٢٩ و٢١: ١ ـ ١٤.

فمثلاً عندما سمع عيسى عليه السلام أن لعازر الذي كان يحبه مريضاً مكث حيث سمع الخبر لمدة يومين، طلب في نهايتها من تلاميذه أن يصحبوه جميعاً إلى منطقة اليهودية، فحذروه من اليهود الذين يسعون جاهدين لرجمه، ولكنه أخبرهم أن لعازر قد مات وهو ذاهب إليه مهما كانت العواقب، هنا قال توما في غضب واهتياج أفصحت عنها عبارته التالية.

"لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه" (١)

وعندما قال عيسى لحواييه ذات مرة:

"لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي، في بيت أبي منازل كثيرة وإلا فإني كنت قد قلت لكم أن أمضى لأعد لكم مكاناً، وأن أمضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وأخذكم إليّ متى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق" (٢).

فرد عليه توما بنبرة فيها حدة قائلاً:

"يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق" (٣)

أما الموقف الذي أظهر فيه واقعيته، وكشف فيه عن رجاحة عقله وعدم تسرعه في قبول حقائق الأمور بلا تريث وإمعان نظر فقد رواه يوحنا على النحو التالي:

ظهر عيسى لحوارييه بعد واقعة الصلب المزعومة عشية يوم الصلب نفسه، وكانت الأبواب مغلقة والتلاميذ مختفين خوفاً من اليهود، فدخل عليهم عيسى، ثم ارآهم يديه وجنبيه وعليهم آثار الجروح. ففرح التلاميذ لرؤيته من جديد حياً ومعافى، فقال لهم عيسى:

"سلام لكم، كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، اقبلوا الروح القدس، من غفرتم

---

(١) إنجيل يوحنا ١١ : ١٦.

(٢) إنجيل يوحنا ١٤ : ١ - ٤.

(٣) إنجيل يوحنا ١٤ : ٥.

خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت" [١].

ولم يكن توما حاضراً هذا الاجتماع الذي حظي فيه الحواريون برؤية عيسى بعد قيامه من الأموات كما يروى يوحنا ويعتقد النصارى، فحدثه رفقاؤه بمبعث معلمهم ومجيئه إليهم فأبى أن يصدق روايتهم قائلاً:

"إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أومن" [٢].

إن رفض توما لرواية الحواريين، وعدم تصديقه بإمكانية بعث عيسى من بين الأموات، تضعه بلا أدنى شك ضمن أولئك الذين لا يؤمنون إلا إذا رأوا بأعينهم، أي هو يطلب من رفقائه أدلة مادية ملموسة تثبت صدق الرواية، فكأن يوحنا صوره إنساناً عملياً يتردد دوماً في قبوله لأي خبر لا يسنده دليل ولا تدعمه حجة.

وبعد ثمانية أيام من انكار توما دخل عليهم المسيح في مخبئهم، ثم وجه حديثه لتوما قائلاً:

" هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً " [٣].

عندئذ اقتنع توما بما رأى، ورضى بالأدلة المادية على ما سمع من قبل، فعلق قائلاً:

" ربي وإلهي " [٤]

" فرد عليه عيسى قائلاً:

" لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا " [٥].

---

(١) إنجيل يوحنا ٢٠: ٢١ - ٢٣.
(٢) إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٥.
(٣) إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٨.
(٤) إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٨.
(٥) إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٩.

لأجل ذلك كان آباء الكنيسة [١] يلومونه على نقصان إيمانه وفي الوقت نفسه يشكرونه على شكوكيته التي كانت مناسبة للتأكيد على ألوهية المسيح للأجيال القادمة. ومنها وصف توما، بتوما الشكاك أو توما المتشكك المتداولة اليوم في أدبيات الدين النصراني حتى غدت لشهرتها علماً عليه، وحلت في بعض الأحيان محل لقبه.

وعلى أي حال فقد شهد توما مثله في ذلك مثل سائر الحواريين معظم الأحداث التي شكلت معالم الدين النصراني، واشترك في الدعوة والتبشير بالدين الجديد، وكان معهم في آخر اجتماع لهم مع عيسى عليه السلام على جبل الزيتون، ورأى ملائكة الله وهي تحمله أمام أعينهم وتصعد به إلى السماء.

أما ما حدث بعد ذلك فيرويه صاحب سفر أعمال الرسل بقوله:

"حينئذ رجعوا (الحواريون) إلى اورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون الذي هو بالقرب من اورشليم على سفر سبت، ولما دخلوا صعدوا إلى العلية التي كانوا يقيمون فيها، بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفليبس وتوما وبرتولماوس ومتى ويعقوب بن حلفي وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب"[٢].

ثم تفرق الحواريون بعد ذلك، فمنهم من غادر اورشليم واستقر في قرى ومدن فلسطين، مبشراً الناس ليخلصوا من عذاب الله يوم القيامة، ومنهم من خرج من البلاد وذهب بعيداً حاملاً معه بشارة عيسى للناس. وعاملاً في الوقت نفسه على استمرارية دعوته ورسالته، وبأعمال هؤلاء ومجاهداتهم أسست كما يرى النصارى الجماعة المسيحية (الكنيسة) بين الأمم، وانتشر ضياء النصرانية وإشراقها حتى وصل إلى أقصى العالم المعروف.

وحاول آباء الكنيسة ومحققو النصرانية إطفاء طابعاً شرعياً على مهام هؤلاء الرسل التبشيرية بادعائهم أنها تمت بناء على طلب المسيح وموافقته، وذلك حين بُعث من بين الأموات، فقال لهم في آخر اجتماع لهم وقبيل مغادرته للعالم.

---

(١) The Oxford Dictionary of Saints D.H. Farmer P. 374

(٢) سفر أعمال الرسل ١: ١٣ - ١٤.

"ليكن سلام أبي عليكم، ما أعطاني له أبي فلن أخفيه عنكم، أجمعوا أنفسكم كي أقسم عليكم العالم إلى اثنى عشر قسماً، وليذهب كل واحد منكم إلى القسم الذي يخصه. ولا تخافوا لأني معكم دائماً، وأعرف كل ما يجري لكم، سواء كان مقاساة للآلام، أو مكابدة للمحن، تذرعوا بالصبر مع الناس لأنكم في النهاية ستخرجونهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ولا تنسوا المعاناة التي كابدتها والآلام التي تحملتها وكل ما فعلوه بي من أجل أطفال العالم" (١).

وبناء على ذلك التكليف فقد أختير توما ليحمل رسالة عيسى وبشارة الإنجيل إلى الهند، وقبيل مغادرته قال لعيسى بنبرته المعهودة:

"لماذا أراد منى الكثير أن أذهب إلى الهند، فإن الناس هناك أشداء كالوحوش، وقلوبهم قاسية لسماع كلمة الإنجيل، ولكن كن دائماً إلى جواري حتى أصل إلى تلك البلاد" (٢).

وطبقاً لتقاليد نصارى الهند وموروثاتهم الدينية فهناك روايتان تصفان الكيفية التي وصل فيها توما إلى بلادهم:

الأولى: سلك توما الطريق البرى من فلسطين مروراً بالعراق، وعند دخوله أراضي الإمبراطورية الفارسية نزل الغزاة الكوشان Kushan بالدولة، فأجبر على الإبحار في سفينة تجارية كانت متجهة إلى جزيرة سقطرة Scotra، ومنها عبر البحر إلى سواحل الهند الجنوبية، ثم شق طريقه إلى أن دخل مدينة ميلابور Mylapor بالقرب من مدراس. حيث استقر بها، ومنها نشر دعوة عيسى بين الناس (٣).

الثانية: بعد أن سار توما ورفيقاه في السفر بطرس وميتاياس مدة أربعين يوماً دخلوا إحدى المدن، وبينما هم جلوس قدم عليهم موظف من موظفي ملك

(١) The Contendings of the Apostles. W.Budge P. 265.

(٢) Ibid. P. 266

(٣) A History of Eastem Christianity. Aziz Atiya P. 363.

الهند (قندوفاريس) Gondophares مبدياً رغبة مليكه في شراء عبد له من الصفات والمميزات التي تنطبق عليهم جميعاً، في هذه اللحظة ظهر عيسى في هيئة رجل غني وطلب من رسول الملك انتقاء من يرغب فيه من بينهم، فوقع اختياره على توما، لأنه بالإضافة إلى اعتدال قامته وقوة بدنه، كان مهندساً معمارياً له إلمام واسع بالبناء، وهي الحرفة التي يريدها الملك في خادمه [١].

وفي كل الأحوال فقد أحضر توما أو حضر برغبته أمام ملك الهند ملقياً على مسامعه مهارته في البناء والتشييد، فسر العاهل الهندي وأمر من ساعته بتزويد توما بكل ما يلزمه لتشييد قصر فخم لا شبيه له ولا نظير.

غير أن توما اشترط على الملك مباشرة العمل في الشتاء بدلاً من الصيف الذي هو عادة موسم البناء، لأن توما كان في يفكر في بناء قصر له في الجنـة، لا قصراً دنيوياً زائلاً، ولذلك وزع كل الاعتمادات المالية المرصودة للمشروع على الفقراء والمحتاجين والمرضى، ولما مضى الشتاء ولم ينجز توما من العمل شيئاً يذكر أمر بالقبض عليه وإيداعه في الحبس.

وبينما كان توما محبوساً توفي شقيق الملك (قاد Gadon - Gad)[٢] فحزن *عليه الملك حزناً شديداً، وأمر بإعداد جنازة ملكية تليق بمكانة المتوفى في* المملكة. في هذا الوقت حملت الملائكة روح قاد إلى السماء، وهناك طلبوا منه أن يختار لنفسه قصراً يأوي إليه لحين البعث والنشور، فوقع اختياره على القصر الذي بناه توما لشقيقه الملك، فأخبرته الملائكة بأنه لا يسمح له بالإقامة في هذا القصر، ثم كشفوا له سبب المنع.

عندها طلب من الملائكة أن يعيدوه للحياة الدنيا كي يشتـرى هذا القصر من شقيقه، فأعيدت روحه إلى بدنه فنهض من بين الموتى وسط دهشة وانبهار من حوله من المشيعيين، طالباً على الفور مقابلة شقيقه، فهرع إليه شقيقه ومنه عرف أن توما قد بني له قصراً دائماً في الجنة بدلاً من القصر الدنيوي الزائل.

---

(١) The Contendings of the Apostles. W. Budge. P. 267-268.

(٢) Ibid. P. 350 - 351.

إن عودة قاد للحياة الدنيا وبهذه الطريقة الإعجازية ليسرد على مسامع ملك الهند ما اسداه إليه توما من جميل هو الذي دفعه لإطلاق صراحه والاعتذار إليه عن الأعمال الشريرة التي فعلها به، ثم آمن هو ورجالات البلاط وأعيان الدولة بدعوة عيسى، وسمح لتوما مدعوماً بقوة المملكة للتبشير بالإنجيل في الهند، وتأسيس الكنيسة النصرانية التي تضم بين جنباتها كل المؤمنين برسالة عيسى عليه السلام.

وعكف توما يبشر بالإنجيل في الهند منذ اعتناق ملكها للنصرانية إلى يوم قتله في ٣ يوليو كما تؤرخ له الكنائس السريانية في ميلابور عن عمر يقدر وقتها بحوالي اثنان وسبعون عاماً [١]، ودفن في ميلابور وبالتحديد تحت سفح الجبل الذي يعرف الآن بجبل القديس توما، ولا يزال يوجد اليوم صليب حجري قديم قائماً في الموضع نفسه وعليه كتابات ونقوش باللغة البهلوية، وفي عام ٣٩٤م نقلت رفاته إلى مدينة الرها Edessa حيث احتفظ بها النصارى السريان في إحدى كنائسهم.

وأيا كان مبلغ الصدق والحقيقة في الوقائع السابقة فقد ظل ارتباط الهند بالحواري توما مقبولاً عند معظم الكنائس النصرانية، إلى حد أن الملك الفرد ملك وسكس Wessex أرسل هدايا وصدقات كثيرة ليس فقط إلى مقر الكنيسة الكاثوليكية في روما، بل أيضاً إلى القديس توما في الهند، وعندما دخل البرتغاليون الهند وجدوا ضريحه قائماً فأعادوا بناءه وتجديده، وفي يوم ٣ يوليو لعام ١٩٧٢ أعلن البابا بول السادس رسمياً أن الحواري توما هو رسول المسيح إلى الهند[٢].

ولا يزال النصارى في مختلف بلاد العالم يحتفلون كل عام بعيد القديس توما، ولكنهم يختلفون في تحديد ميقاته[٣]، فبينما يحتفل به السريان والروم

---

(١) The Oxford Dictionary of Saints - David Farmer P. 473.

(٢) Ibid. P. 474.

(٣) The New Encyclopaedia Britannica Vol. 11 P. 712.

الكاثوليك يوم ٣ يوليو، تحتفل به الكنيسة الكاثوليكية يوم ٢١ ديسمبر، أما الكنائس الأرثوذكسية فتحتفل به يوم الأحد من سنتها الكنائسية التي تبتدى من عيد الفصح، ولذلك يسمون ذلك الأحد بأحد القديس توما، وفي آخر تقويم منقح صدر عن الفاتيكان تبنت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يوم ٣ يوليو كعيد رسمي للقديس توما.



الفصل الثاني

إنجيـــل توما

حظي الكتاب المنزل من عند الله تعالى على أنبياءه ورسله على قلة ما أنزل من كتب بصفة الصحيفة واسمها مرادف لما هو مكتوب ومدون فيها، ويشتمل المكتوب عادة على مسائل عقدية وتعبدية قليلة كانت أو كثيرة، وينطبق هذا في مجمله على كل كتب الله المنزلة وصحفه، حاشا الإنجيل، إذ لم ينزل كصحيفة فيها كتابة، أو كتاب فيه جمل من الكلمات المنفردة بالتدوين. بل أنزله الله تعالى جملة واحدة على قلب عيسى عليه السلام، وثبت في قلبه وسكن وحياً لله تعالى، يخالف في حالته تلك سائر ما عهد عند الأنبياء والرسل.

أما كيف أنزل الإنجيل على قلب عيسى وثبت فيه وحياً من عند الله وعلى ذلك النحو الفريد، فقد رواه برنابا كما سمعه من فم عيسى قائلاً:

"لما بلغ عيسى ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً، وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات: "يا رب برحمة" وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون "ليتمجد الله" فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة، فنزل إلى قلب عيسى الذي عرف به ما فعل الله. وما قال الله، وما يريد الله، حتى أن كل شيء كان عرياناً ومكشوفاً له، ولقد قال لي: صدقني يا برنابا أني أعرف كل نبي وكل

نبوة وكل ما أقوله إنما جاء من ذلك الكتاب"[١].

"وتحدث عليه السلام فيما بعد لحوارييه عن هذه الواقعة فقال شارحاً لهم طبيعة الكتاب الموحى به وكيفية إنزاله على قلبه:

"صدقوني إنه لما اختارني الله ليرسلني إلى بيت إسرائيل أعطاني كتاباً يشبه مرآة نقية نزلت إلى قلبي حتى أن كل ما أقول يصدر عن ذلك الكتاب، ومتى انتهى صدور ذلك الكتاب من فمي أصعد عن العالم، إن كل ما أقوله لمعرفة الله ولعبادة الله، ولمعرفة الإنسان ولخلاص الجنس البشري إنما هو جميعه صادر من ذلك الكتاب الذي هو إنجيلي" [٢].

وفي الفترة القصيرة من عمر نبوة عيسى عليه السلام والتي تقدر بثلاثة أعوام، لم تكتب في إنجيله كلمة واحدة، وهو من جهته وكنتيجة حتمتها طبيعة إنزاله لم يعط لأحد من حوارييه إنجيلاً مرقوماً في كتاب. وبقيت الحقيقة الثابتة للإنجيل المنزل من عند الله تعالى في نظر عيسى وحوارييه وحتى قبيل رفعه حياً إلى السماء عبارة عن أقواله المبلغة لهم ولغيرهم لفظاً وشفاهه بوصفها وحياً إلهياً.

ومن هنا سمى الكلام الذي فاه به وكأنه لا أحد بينه وبينهم لا الكتاب نفسه إنجيلاً، ومعنى الاسم ودلالته اللغوية خير شاهد على ذلك، فمن المعروف أن كلمة إنجيل من الكلمات اليونانية، ومدلولها هو مدلول الجنس، فلما خضع الاسم لقواعد اللغة العربية وطرق نطقها أدخل عليه حرف التعريف وكسرت همزته ليجري على وزن أسماء الأعلام العربية، ويعود في أصوله إلى كلمة مركبة من مقطعين، هما ايف Ev وانغليون Anglilion[٣]. ويفيد كل منهما معنى مستقلاً في الذهن والفهم،فايف بمعنى طيب وجيد وحقيقي، وانغليون بمعنى الخبر المفرح أو السار أو الخبر الطيب، وعند دمج المقطعين معاً في اسم واحد يؤديان إلى معنى التبشير بالسعادة الحقيقة، أو الأخبار والإعلان بما يؤدي إلى

---

(١) إنجيل برنابا: ص ٤٦.

(٢) إنجيل برنابا: ص ٢٤٦.

(٣) الإنجيل والصليب - عبد الاحد داؤد ص ٢٤.

الشعور بالبهجة والارتياح النفسي والقلبي.

وعلى هذا فمعنى الإنجيل يتطابق في مدلوله مع كلمة بشارة، ويفيد في دلالته العامة ما تفيده كلمة بشارة، والتي تأتي دوماً بمعنى نقل أخبار صادقة وحقيقية ليس لدى المبلغ بها والواصلة إليه علم ولا معرفة مسبقة، بحيث تحدث فيه وعلى المستوى القلبي تغييراً يشعر فيه بالفرح والسرور، وتتبسط أسارير وجهه وعلى المستوى الظاهري بمعان البشر والابتهاج والانشراح.

ولما رفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء ترك وراءه إنجيل الموحى به لحوارييه كما أنزله الله على قلبه في شكل أقوال ومواعظ ووصايا شفهية تندرج كلها وعلى وجه الخصوص تحت مسمى البشرى والبشارة، ولكن الأحداث التي تلت رفعه بفترة وجيزة للغاية، وبروز أفكار غريبة وشاذة ومناهضة للإنجيل، هي التي دفعت بالبعض منهم إلى تدوين الإنجيل كما تلقوه سماعاً من فم معلمهم، ومن هؤلاء برنابا أقرب الحواريين إلى عيسى عليه السلام، وأكثرهم ملازمة له خلال أعوام البعثة.

أبان برنابا وفي مقدمة كلامه المسوغات التي أجبرته على الإقدام على عمل كهذا يخرج عن طبيعة النبوة وأهدافها الحقيقية فقال مخاطباً قراءه:

" أيها الأعزاء إن الله العظيم قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه عيسى برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، وهو السبب الذي لأجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي للمسيح لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان. فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فأحذروا كل من يبشركم بتعليم جديد مضاد لما اكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً"[١].

أما لوقا فقد كان محركه للكتابة مسايرة الكثير من رفقاءه الذين عكفوا في ظل

---

(١) إنجيل برنابا: ص ٣٧، ٣٨.

الظروف القاسية التي مروا بها، وخوفاً من ضياع أقوال معلمهم ومواعظه على تدوين إنجيل عيسى كما سمعوه بآذانهم، فقال في مفتتح كتابه وكالمعتذر على ما أقدم عليه:

"إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت" (١).

إن شهادة برنابا ولوقا تكشف بجلاء عن مغزى كثرة الكتب المتضمنة لأقوال المسيح عليه السلام، والمنسوبة في أغلبها إلى الحواريين كثرة تربو حتى على عدد الحواريين الأثني عشر، وهم الذين لازموا معلمهم منذ جهره برسالة التبشير وحتى رفعه إلى السماء، إلى حد نسب بعضها إلى من لا يدخل تحت مسمى الحواري بمصطلحه المعروف.

ورغم كل هذا تبقى هناك حقيقة جوهرية في كل مكتوب من تلك المكتوبات، وهي أن كاتبه يعترف صراحة في مقدمة كلامه أو في ثناياه، بأنه يروي ما سمع،أو يحرر ما عايشه عن تجربة، أو يوثق كتابه أقوالاً ومواعظ تلقاها شفاهه عن عيسى، أو سمع بها عمن تلقاها شفاهة عنه عليه السلام، فأستأهل كل مكتوب منها اسم الإنجيل، لأن كاتبه وبغض النظر عن مدى قربه أو بعده من صاحب الإنجيل، يورد أقوالاً ومواعظ ووصايا شفهية، يتمحور معناها ومقصودها وغايتها حول معنى البشرى والبشارة.

وتسير رواية توما للإنجيل في الاتجاه نفسه الذي سارت عليه معظم روايات الحواريين لأقوال عيسى عليه السلام ومواعظه وتعاليمه، فيقول في مقدمة إنجيله.

"هذه هي الأقوال السرية التي تكلم بها يسوع المسيح وديديموس يهوذا توما هو الذي نظمها والف بينها وصاغها كتابة" (٢).

---

(١) إنجيل لوقا ١: ١ ـ ٤.

(٢) The Gospel According to Thomas. P. 3.

إن وصف توما لتلك بالسرية لا يدل على خفاءها عن الناس وعدم ذيوعها بينهم، بل يؤكد أن عيسى عليه السلام قد خصه بها، واثره بها على غيره. ثم عمل هو من جانبه ورغبة منه في حفظها على تسجيلها وتدوينها على الورق للمؤمنين من بعده.

ويشتمل إنجيل توما أو بالأحرى رواية توما لأقوال عيسى على مئة وأربعة عشر قولاً، رواها بطريقه ليست معهودة في رواية باقي الحواريين، ففي الوقت الذي يورد فيه هؤلاء أقوال عيسى وتعاليمه في إطار تاريخي وضمن وقائع بعينها. ينتزع توما القول من خلفيته التاريخية فيورد مجرداً قاصداً بذلك وفيما يبدو على التركيز على جوانب الحكمة والموعظة الحسنة المتضمنة في أقوال عيسى ومواعظه.

وبهذه الطريقة يكون توما قد ترك جانباً كل معجزات عيسى والتي شكلت عنصراً جوهرياً في روايات إخوانه، وذلك أيضاً لإدراكه العميق بالبعد التبشيرى لنبوة عيسى ورسالته. فهو يكتب بعد رفعه عليه السلام إلى السماء، وفي وقت تحولت فيه المعجزات إلى خبر يروى، ولم يبق من نبوته إلا هذه الأقوال والمواعظ والتعاليم والتي تشكل في مجموعها إنجيل عيسى وبشارته للناس أجمعين.



الفصل الثالث

رواية توما مقارنة بروايات الحواريين

لا يقبل النبي في وطنه

تحتم نبوة عيسى عليه السلام وبشارته لقومه أن يوضع نبيها موضعاً لا تلحقه فيه ذلة ولا منقصة، وينزل منزلة تمنحه القوة والغلبة التي تحول بينه وبين الخيبة والخسران، وتجعله دوماً منيعاً يغلب ولا يغلب، فإذا وضع وضعاً يناقض ذلك، وخلي بينه وبين مظاهر الغلبة والسؤدد فإن أقل وصف يعبر به عن تلك الحالة هو أنه لم يكرم التكريم الواجب له، وبالتالي فما يلحقه وينزل به يجعله في حالة هي العكس تماماً من العزة والشرف.

والواقعة التي أسفر فيها لعيسى عن تلك الحالة، إتفق على روايتها كل من متى ومرقس ولوقا، وملخصها:

عاد عيسى بعد جولة تبشيرية طويلة إلى وطنه الناصرة، وفي يوم السبت دخل المجمع الديني حيث القى خطبة تعليمية فريدة في نوعها استرعت اهتمام الجميع، ولما انتهت الخطبة وجلس عليه السلام، كانت العيون شاخصة نحوه، فعلق من في المجمع متعجبين:

"من أين لهذا هذه، وما هذه الحكمة التي أعطيت له حتى تجري على يديه

قوات مثل هذه، أليس هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويهوذا وسمعان. أو ليست أخواته ههنا عندنا[1]".

إن حيرة القوم وترددهم تدل على جهلهم وعدم معرفتهم بالطريق القويم الذي يقودهم إلى ما فيه خيرهم وخلاصهم، فرد على جحودهم فضله، وإنكارهم لمحاسنه، رداً أظهرهم فيه كحال كل من يضع أهل التكريم والإكرام في غير موضعهم، قال فيه:

"ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقرباءه وفي بيته"[2].

وانفرد برنابا برواية قد تكون جزءاً من سلسلة طويلة من الوقائع التي جرت في ذلك اليوم في وطنه وبين قومه. جاء فيها:

عندما كان عيسى على ظهر مركب في طريقه إلى الناصرة، حدث نوء عظيم حتى اشرف المركب على الغرق، وكان عليه السلام وقتها نائماً في مقدمة المركب، فأيقظه حواريوه طالبين منه النجاة بنفسه، فنهض ورفع يديه إلى السماء داعياً الله بالنجاة. وما أن انتهى من دعاءه حتى سكنت الريح وهدأ البحر. وعند بلوغهم الناصرة أذاع النوتية ما فعله ابن مدينتهم، فمثل بين يديه جماعة من أهلها وقالوا له كالمتحدين:

"لقد سمعنا كم فعلت في البحر واليهودية فأتنا بآية من الآيات هنا في وطنك"[3].

إن طلب القوم يشتمل هو الآخر على تجاهل متعمد لمجمل محاسنه وأفعاله المحمودة، وتردد وارتياب في التصديق والإيمان به. ولكن إجابته ورده عليهم جاءت وكما رواها كل من برنابا ولوقا مخالفة للإجابة السابقة. قال فيها:

---

(١) إنجيل مرقس ٢: ٦ - ٣.
(٢) إنجيل مرقس ٦: ٤.
(٣) إنجيل برنابا ص ٦٢.

"يطلب هذا الجيل العديم الإيمان آية، ولكن لن تعط، لأنه لا يقبل نبي في وطنه"[1].

وهي الإجابة نفسها التي رواها توما وبزيادة طفيفة لم ترد عند برنابا ولوقا، جاء فيها:

"لا يكون النبي عادة مقبولاً في وطنه، ولا يشفي الطبيب أولئك الذين يعرفونه"[2].

ومن المحتمل أن توما روى عن عيسى ذلك مستنداً هو الآخر على الواقعة التي رواها برنابا، وفيها ظهر له ليس فقط نفور نفوسهم من نبوته وبشارته، بل أيضاً كراهيتهم له وعدم رضاهم به، فآداه هذا وإلى ما يشبه الجزم، واضعاً نصب عينيه تجارب الأنبياء من قبله، إلى مواجهتهم بحقيقة بديهية ومناقضة لمظاهر التكريم والإعزاز، ومعبرة بالفعل عن موقفهم إزاء شخصيته ونبوته.

أعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر:

خضع عيسى عليه السلام من الناحية السياسية والإدارية مثله في ذلك مثل سائر أبناء ملته إلى السلطة الرومانية وقوانينها، وخضع من الناحتين التشريعية والمدنية إلى سلطة السنهدريم (المجمع الكبير) والذي كان بمثابة حكومة كهنوتية تملك سلطة الحكم في كل المخالفات التي تمس الشريعة وسلطة تنفيذ ما يصدر من أحكام، وعلى رأس الثلاثين من عمره أوحى الله إليه وأرسله إلى خاصة قومه، فدخل بتلك النبوة والرسالة في صراع مع السلطة الكهنوتية، وهو الصراع الذي وقفت فيه السلطات الرومانية على الحياد، إذ لم يأخذ في نظرهم بعداً سياسياً، وليس فيه خرقاً للقوانين، ولا يشكل خطراً على أمن الإمبراطورية وسلامتها.

ولما عجزت السلطات الكهنوتية من صراعها معه، وفشلت في الحد من

---

(١) إنجيل برنابا ص ٦٢ وإنجيل لوقا ٤: ٢٤.

(٢) The Gospel According to Thomas. P. 21.

انتشار دعوته، حاولت استدراجه إلى مواقف تظهره كالمتمرد على السلطة السياسية والإدارية في البلاد، ومن ثم يدخل في صراع مكشوف مع الرومان يفضي في النهاية للقضاء عليه، وأشهر واقعة تمثل فيها ذلك الاتجاه هي التي اتفق على روايتها كل من متى ومرقس ولوقا وبرنابا. وتتلخص في أن الكهنة أرسلوا جماعة منهم إلى عيسى عليه السلام ليسألوه سؤالاً محدد الإجابة قائلين:

"يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس فقل لنا ماذا تظن أن نعطي جزية لقيصر أم لا" (١).

وبطبيعة الحال لم يفاجأ عيسى بغاية السؤال، ولا بالمعنى المتواري خلفه، فالتفت نحو يهوذا المسؤول عن مالية الجماعة وطلب منه تسليمه أي قطعة نقدية، فقدم له يهوذا فلساً، تناول عليه السلام الفلس وأخذ يقلبه بين أصابعه، ثم بادرهم بالسؤال:

"إن على هذا الفلس صورة وكتابة فقولوا لي لمن الصورة والكتابة" (٢).

فردوا عليه الرد البديهي الذي لا يختلف عليه اثنان:

"الصورة والكتابة لقيصر" (٣).

عندئذ جابههم بالرد الذي أجمع على روايته متى ومرقس ولوقا وبرنابا حيث قال:

"أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر، وأعطوا ما لله لله" (٤).

شارك توما أولئك الحواريين في إيراد نص القول السابق وضمن سياق يوحي بأنه استقاه من الأحداث التي مثلت خلفيته التاريخية، ولكنه زاد عليه زيادة معتبرة أغفلها غيره، جاء فيها:

---

(١) إنجيل متى ٢٢: ١٦ - ١٨.
(٢) إنجيل برنابا: ص ٧٦.
(٣) إنيل برنابا ص ٧٦.
(٤) إنجيل متى ٢٢: ١٧ وإنجيل مرقس ١٢: ١٧ وإنجيل لوقا ٢٠: ٢٥ وإنجيل برنابا ص ٧٦.

"عرضوا على عيسى قطعة نقدية من ذهب وقالوا له: إن رجال القيصر يطلبون منا الضرائب، فقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وأعطوني ما هو لي" [1].

إن نظرة متأنية على تلك الزيادة والمتعلقة بشخص عيسى عليه السلام تقف مع الرد على قدم المساواة، وتكاد تكون شق مكمل له، ومن زاوية إعطاء كل ذي حق حقه، وتدل في الوقت نفسه على تقصير فاضح إزاء ما تفرد به هو شخصياً، وتجاهل بغيض لما يعرفونه عنه من كونه نبياً ورسولاً، وانشغالهم بقضايا لا تمت إلى رسالته بصلة.

كلام الناس عن عيسى

شاع بين العامة من الناس وربما بإيعاز من الرومان وكنتيجة طبيعية لمعجزات عيسى الباهرة فكرة شيطانية مفادها أن عيسى هو إله إسرائيل الذي جاء خصيصاً ليتفقد شعبه، وفي واحدة من تنقلاته الكثيرة ذهب وحواريوه إلى أقصى الشمال المتاخم للأقاليم السوري، وعند دخولهم حدود مدينة قيصرية فيلبس، بعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام ليخبره بتفاصيل ما جرى بين العامة من شغب في القدس من جراء مزاعم الرومان حول ألوهيته، مما دفعه إلى سؤال حوارييه قائلاً:

"ماذا يقول الناس عني أنا ابن الإنسان" [2].

فأجاب الحواريون بما هو شائع بين الناس أجابة أجمع عليها معظم الحواريين ونصها:

"قوم يوحنا المعمدان، والبعض يقول إنك ايليا، وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء [3].

---

(١) The Gospel Accoding to Thomas. P. 51.

(٢) إنجيل متى ١٦: ١٣

(٣) إنيل متى ١٦ : ١٤ وإنجيل مرقس ٨: ٢٨ وإنجيل لوقا ٩: ١٩. وإنجيل برنابا ص: ١٢٨.

ثم سألهم مرة أخرى عن رأيهم الشخصي بقوله: وما قولكم أنتم. فسكت الجميع وهم في حالة من التردد، لا شكاً ولا جهلاً منهم بحقيقته النبوية، ولكن خوفاً من مجابهته برأي قد يحزنه أو يغضبه، عدا بطرس الذي أجابه أجابة اختلف الحواريون في روايتها، ففي حين روى كل من مرقس ولوقا قوله "

"أنت المسيح (مسيح الله)"[1].

روى كل من متى وبرنابا قوله:

"إنك أنت المسيح ابن الله الحي.." [2].

أما رده عليه السلام وموقفه إزاء هذين القولين فمختلف فيه، ففي حين انتهرهم على القول الأول وأوصى ألا يقولوا لأحد عنه، كما في رواية مرقس ولوقا [3].

نجد أن القول الثاني قد حظي عنده بالرضى والقبول كما في رواية متى. وبالرفض والإنكار كما في رواية برنابا. فيحكي عنه متى قوله:

"طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات، وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله في الأرض يكون محلولاً في السموات" [4].

وحكي برنابا قوله:

"أذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسيء إليّ" [5].

---

(١) إنجيل مرقس ٨: ٢٩ وإنجيل لوقا ٩: ٢٠.
(٢) إنجيل متى ١٦: ١٦ وإنجيل برنابا ص ١٢٨.
(٣) إنيل مرقس ٨: ٣٠ وإجيل لوقا ٩: ٢١.
(٤) إنجيل متى ١٦: ١٧ - ٢٠.
(٥) إنجيل برنابا ص ١٢٨.

أما رواية توما فتتفق في مجملها مع الروايات السابقة، وتختلف عنها في التفاصيل اختلافاً جذرياً، جاء فيها:

"قال عيسى لحوارييه: قارنوا بيني وبين غيري، ثم أخبروني من الذي يشبهني، ومن أشبه أنا، فقال له سمعان بطرس: أنت تشبه الملاك الطاهر، وقال له متى: أنت الرجل الحكيم في الفهم والذكاء، وقال له توما: يا سيد إن قلبي لا يطاوعني على القول من تشبه أنت ومن الذي يشبهك. فقال له عيسى:

أنا لست سيدك، لأنك سكران وستغدو سكيراً، ولأنك قادم من الربيع الزائف الذي حفرت له أنا في الخارج ودفنته.

ثم أخذ عيسى توما من يده وانسحب به بعيداً عن الحواريين وهناك أسر إليه بثلاث كلمات، ولما عاد توما إلى إخوانه سألوه قائلين: ماذا قال لك عيسى. فقال لهم: لو أخبرتكم بواحدة فقط من هذه الكلمات التي أسر بها إليّ لرجمتموني بالحجارة. ولانطلقت من تلك الحجارة السنة من النيران وأحرقتكم جميعاً"[1].

إن رواية توما وكما قلنا تتفق في مجملها مع رواية غيره من الحواريين وذلك في ثلاث نقاط ارتكازية، وهي سؤال عيسى الاستفساري حول حقيقة شخصيته النبوية وما يشاع حولها. وردود حوارييه المختلفة عليه، وأخيراً إنكاره على رد واحد منهم حين رأى في قوله مجافاة للحقيقة، وخروج عن طبيعته النبوية والإنسانية، أما من حيث التفاصيل فمختلفة عنها وذلك أيضاً من خلال النقاط الثلاث، فقد سأل عليه السلام أن يوازن حواريوه فيما بينه وبين غيره في معنى من المعاني التي يماثله فيها غيره وأجابوه فرادى إجابة بعيدة عن حقيقته النبوية، ثم أن صاحب القول المنكر ليس هو بطرس بل توما، وهو القول الذي لم تفصح عنه الرواية ولا رد عيسى عليه السلام، فبقي مبهماً وغامضاً. ولكن وصفه عليه السلام لتوما باضطراب عقله وفقده للإدراك بفعل الخمر، يدل على قبحه ومخالفته للعقل السليم. وهو حكمه على قول بطرس لا يختلف عنه في شيء.

(١) The Gospel According to Thomas. P. 11.

الوهية عيسى عليه السلام

باستثناء رواية برنابا للإنجيل فإن باقي الحواريين وردت في رواياتهم ما يفيد الوهية عيسى عليه السلام ونسبته لله تعالى بالبنوة وبصور وأشكـال تخرج عن الحصر. نكتفي منها وعلى سبيل المثال برواية يوحنا، يقول فيها عيسى عن نفسه:

". . . فالذي قدسه الأب أرسله إلى العالم، أتقولون إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله، إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا إن الأب فيّ وأنا فيه" (١).

ولم يشذ توما في روايته عن غيره، فروى هو أيضاً ما يفيد تلك الالوهية ويتفق مع منهجه في رواية الإنجيل، فحكى عن عيسى قولين. جاء في الأول منهما قوله.

"عندما ترون من لم تلده امرأة من النساء، فقعوا له على وجوهكم واعبدوه. فإنه آلهكم" (٢).

وجاء في الثاني قوله:

"حينما يكون هناك ثلاثة ألهة، فهم ألهة، وحينما يكون هناك اثنان أو واحد، فأنا معهم"(٣).

دعوة عيسى لحوارييه بالتبشير

دعا عيسى عليه السلام حوارييه وعلى امتداد تاريخ نبوته مرتين للتبشير في قومه نيابة عنه، الأولى تمت على الأرجح في بداية نبوته، وخص بها حوارييه

---

(١) إنجيل يوحنا ١٠: ٣٦ - ٣٨.

(٢) The Gospel According to Thomas. P. 11.

(٣) Ibid. P. 20.

الاثني عشر، وهي التي أرخ لها مرقس ولوقا واهملها سائر رواة الإنجيل، جاء في روايتيهما.

"ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين، وشفاء أمراض، وأرسلهم ليبشروا بملكوت الله ويشفوا المرضى، وقال لهم لا تحملوا شيئاً للطريق، لا عصا ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان، وأي بيت دخلتموه فهناك أقيموا ومن هناك أخرجوا، وكل من لا يقبلكم فأخرجوا من تلك المدينة وانفضوا الغبار أيضاً عن أرجلكم شهادة عليهم، فلما خرجوا كانوا يجتازون في كل قرية يبشرون ويشفون في كل موضع"(١).

أما الثانية فقد تمت على الأغلب في العام الثاني للنبوة، وهي التي دعا إليها بالإضافة إلى حوارييه القدماء الرسل الاثنين وسبعين، وتعد هذه الدعوة أكبر بعثة وآخرها في تاريخ نبوته، وانفرد بروايتها كل من لوقا وبرنابا. يحكي عنها لوقا قائلاً:

"وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع. حيث كان هو مزمعاً أن يأتي، فقال لهم أن الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده. اذهبوا، ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب، لا تحملوا كيساً ولا مزوداً ولا تسلموا على أحد في الطريق. وأي بيت دخلتموه فقولوا أولاً سلام لهذا البيت، فإن كان هناك ابن السلام يحل سلامكم عليه. وإلا فيرجع إليكم، وأقيموا في ذلك البيت آكلين وشاربين مما عندهم، لأن الفاعل مستحق اجرته، لا تنتقلوا من بيت إلى بيت، وأية مدينة دخلتموها، وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم. واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله "(٢).

واقتصر برنابا في تاريخه لتلك الدعوة على قوله:

"فلما انتهي اليوم الثالث دعا عيسى في صباح ليوم الرابع كل الحواريين

---

(١) إنجيل لوقا ٩: ١ - ٦ وإنجيل مرقس ٦: ٧- ١٣.

(٢) إنجيل لوقا ١٠: ١ - ١٠.

والرسل وقال لهم: يكفي أن يمكث معي برنابا ويوحنا، أما أنتم فجوبوا بلاد السامرة واليهودية وإسرائيل كلها مبشرين بالتوبة، لأن الفأس موضوعة على مقربة من الشجرة لتقطعها وصلوا على المرضى، لأن الله قد سلطني على كل مرض[1]".

ولم ينص توما صراحة على أي من الدعوتين، ولكن إذا قورنت روايته عن عيسى برواية إخوانه يتضح أنه يشير بها إلى الدعوة الثانية، حيث قال فيها:

"قال لهم عيسى: لو صمتم فإنكم تسببون في الخطيئة لأنفسكم، ولو صليتم فإنكم ستدانون، ولو تصدقتكم فإنكم تفعلون اثماً لأرواحكم، وإذا دخلتم أي مدينة وتجولتم في أرجائها، ثم رحب بكم أهلها، وأكلتم مما وضع أمامكم، فعالجوا الأمراض الشائعة بين أهلها"[2].

وفي موضع آخر من خطبته حكى عنه قوله:

"إن الحصاد في الواقع كثير ولكن الفعلة قليلون، فتوسلوا لله كي يرسل فعلة للحصاد"[3].

لا تعطوا المقدس للكلاب

كانت بعثة عيسى وكما هو معروف قاصرة على بني لإسرائيل ومقصورة فيهم، وحرص عليه السلام من جانبه على توضيح تلك الحقيقة، وأوصى حوارييه قبل إرسالهم للتبشير بنبوته فقال لهم كما يروي عنه متى:

"إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" [4].

---

(١) إنجيل برنابا ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) The Gospel According to Thomas. P. 11.

(٣) Ibid. P41.

(٤) إنجيل متى ١٠: ٥ - ٦.

والوصية كاشفة ليس فقط على إيثاره قومه بالنبوة والرسالة بل هي مانعة لهم أيضاً منعاً يشبه التحريم القاطع من التبشير بها في غيرهم. لئلا تضيع جهودهم وتستنفذ قواهم على من لا تعنيهم النبوة في قليل ولا كثير، ولا يملكون القابلية والاستعداد للانفعال بها. وأكد ذلك كله بهذه الوصية التي انفرد بروايتها متى وتوما وحدهما، فيروي متى قوله:

"لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا دوركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم" (١).

ويروي توما قوله:

"لا تعطوا المقدس للكلاب لئلا تلقي به على كومة روث، ولا ترموا بالدرر للخنازير لئلا تدوسه" (٢).

عيسى نور الله

وصف عليه السلام نفسه بالنور الذي يبصر به كل ضال ومنحرف، ويسترشد به الغواة والمذنبون. فروى عنه يوحنا قوله:

"أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة"(٣).

ووصف نفسه في مناسبة أخرى قائلاً:

"أنا قد جئت نوراً للعالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة وأن من سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم"(٤).

أما توما فقد روى عنه قوله:

---

(١) إنجيل متى ١٠: ١٢.

(٢) The Gospel According to Thomas. P. 49.

(٣) إنجيل يوحنا ٨: ١٣.

(٤) إنجيل يوحنا ١٢: ٤٦ - ٤٧.

"أنا النور الذي فوق الجميع، أنا الكل، والكل مني، اشطر قطعة الخشب فأنا هناك، أرفع الحجر فتجدني هناك"(١).

ورواية توما حملت هي الأخرى صفة الهداية والرشاد كصفة ملازمة لعيسى عليه السلام. ثم أضافت إليه معاني مجازية جعلت شخصية عيسى تشكل نقطة محورية في حياة الناس، وهي على الأرجح زيادة أريد بها تعميق صفة النورية في وجدان كل من آمن ببشارة عيسى.

لا تدين كي لا تدان

إذا جعل الإنسان من نفسه واعظاً وهو لا يعظ نفسه، فمن باب أولى أن لا يعظ غيره، وإلا فإنه بالكيل الذي يكيل به يكال له، ومن يدين يدان. تلك هي الحكمة التي جاءت في ثانيا خطبة لعيسى عليه السلام، وقد رواها كـل من متى ولوقا، يقول فيها عيسى:

" لماذا تنظر القذى الذي في عيني أخيك، وأما الخشبة التي في عينيك فلا تفطن إليها، أو كيف تقدر أن تقول لأخيك دعني أخرج القذى الذي في عينيك وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينيك، يا مرائى أخرج الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى في عين أخيك " (٢).

ثم بين عقب ذلك العلة المسببة لهذه الخصلة القبيحة فقال:

" لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً رديئاً، ولا شجرة رديئة تثمر ثمراً جيداً، لأن كل شجرة تعرف من ثمرها، فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً، ولا يقطعون من العليق عنباً، الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح، والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر، فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه " (٣).

---

(١) The Gospel According to Thomas. P. 43.

(٢) إنجيل لوقا ٦ : ١٤ - ٤٢ وإنجيل متى ٧ : ١ - ٥.

(٣) إنجيل لوقا ٦ : ٤٣ - ٤٥ وإنجيل متى ١٢ : ٣٣ - ٣٥.

ورواية توما مطابقة في المعنى للرواية السابقة، ولا تختلف عنها إلا في الصياغة اللغوية، جاء فيها:

"قال عيسى إنك ترى الذرة في عين أخيك، ولكنك لا ترى الجذع الذي في عينك، فعندما ترمي بذلك الجذع بعيداً عن عينك. حينئذ سترى بوضوح لتتمكن من إزالة الذرة من عين أخيك" (١).

أما تعليل عيسى فقد ورد في موضوع آخر من إنجيله، حيث قال فيه عليه السلام:

"إنهم لا يحصدون من الشوك العنب، ولا يجنون التين من العليق، لأنهم لم يعطوا ثماراً. فإن الرجل الصالح يحمل ثمراً جيداً من الكنز الذي في قلبه، والرجل الشرير يحمل أشياء شريرة مما في قلبه، ويتكلم بأشياء شريرة، وذلك لأن من فيض قلبه يحمل ثماراً شريرة" (٢).

الأكل بأيدي مغسولة

لبى عيسى وحواريوه ذات يوم دعوة أحد الفريسيين لمأدبة عشاء أقامها في منزله، وكان يهدف من دعوته إلى مجادلته، وكان في انتظارهم وللغرض نفسه مجموعة من الكتبة والناموسيين (الفقهاء). وفي الليلة المتفق عليها جلس الحواريون على المائدة دون أن يغسلوا أيديهم، فتعجب المدعوون من صدور ذلك الفعل منهم، وعلى الفور بادر الفريسيون بسؤال عيسى وفي محاولة مكشوفة لإحراجه والتضييق عليه قائلين:

"لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا بعدم غسل أيديهم قبل أن يأكلوا خبزاً بأيد مغسولة" (٣).

استند القوم في اعتراضهم على أن الأكل بأيد غير مغسولة يعني الأكل بأيد

---

(١) The Gospeg According to Thomas P. 19.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 27

(٣) إنجيل برنابا ص ٧٧.

دنسة نجسة، وهو أمر تلقوه كعبادة من مشائخهم تعليماً ووراثة، وتمسكوا به في ممارساتهم اليومية، ولكن بلا دليل شرعي يقويه استمساكاً غدا عندهم من المسلمات التي وصفها مرقس بقوله:

"وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون، وأشياء أخرى كثيرة تسلموها للتمسك بها، من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة"(١).

واجه عيسى عليه السلام استنكارهم واعتراضهم على حوارييه مستنكراً هو الآخر ومعترضاً عليهم مخالفات كثيرة وانتهاكات فاضحة يرتكبونها ليست كتقاليد الشيوخ التي لا يقام عليها الدليل، بل هي من صميم الشريعة ويسندها الدليل والبرهان، رواها كل من مرقس وبرنابا (٢) بدرجات متفاوتة من الإسهاب، ليختم حديثه بتفصيل الحكم في الموضوع محل الاعتراض. وهو الحكم الذي اتفق على روايته كل من متى ومرقس وبرنابا، نكتفي هنا بإيراد رواية متى التي قال فيها عليه السلام:

"ألا تفهمون أن كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه لأنه لا يدخل إلى قلبه بل إلى الجوف. ثم يخرج إلى الخلاء،وذلك يطهر الأطعمة. وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر، وذلك ينجس الإنسان، لأن من القلب تخرج أفكاره شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف. هذه هي التي تنجس الإنسان. وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان"(٣).

أما توما فقد تصرف في الحكم السابق بالحذف والتعبير، وصاغة صياغة موجزة، فجاءت على النحو التالي:

"إن ما يدخل إلى أفواهكم لا ينجسكم، بل ما يخرج من أفواهكم هو الذي ينجسكم" (٤).

---

(١) إنجيل مرقس ٧: ٤.

(٢) إنجيل مرقس ٧: ٦ - ١٣ وإنجيل برنابا ص ٧٧، ٧٨.

(٣) إنجيل متى ١٧: ١٥ - ٢٠.

(٤) The Gospel According to Thomas P. 27

وفي موضع آخر من إنجليه روى توما قولاً لعيسى وثيق الصلة بغسل الأيدي، ويندرج أيضاً تحت حكمه السابق له. جاء فيه:

"لماذا تغتسلون خارج الإناء. ألا تفهمون أن من صنع الداخل هو أيضاً صنع الخارج" [١].

والقول السابق أغفله سائر الحواريين حاشا لوقا الذي روى فيه خطاب عيسى للفريسيين. حيث قال:

"أنتم أيها الفريسيون تنقون خارج الكوب والقصعة، أما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً، يا أغبياء أليس الذي صنع الخارج صنع أيضاً الداخل" [٢].

وبطبيعة الحال فإن الذين سمعوا تلك الأحكام قد أعرضوا عنها كرهاً، وترفعوا عنها استخفافاً لمخالفتهم ما وجدوا عليها آباءهم وأجدادهم.

ولما أخبر الحواريون عيسى بمظاهر ذلك النفور والاستخفاف على المعارضين علق عليها بتعليق رواه متى على النحو التالي:

"كل غرس لم يغرسه الله يقلع، اتركوهم هم عميان قادة عميان، وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة" [٣].

وركز توما كعادته على الحكمة البليغة في القول، فورد في روايته قول عيسى:

"إذا قاد الأعمى أعمى مثله، فكلاهما لا محالة يسقطان في الحفرة" [٤].

نقد فرق وطوائف اليهود

إن مبعث عيسى عليه السلام وبعد سلسلة من الأنبياء مبشراً بدأ للغالبية من

---

(١) Ibid. 47.

(٢) إنجيل لوقا ١١: ٣٩ - ٤٠.

(٣) إنجيل متى ١٥: ١٣- ١٤.

(٤) The Gospel According to Thomas P. 23.

قومه غريباً. وبعيداً عن إفهام العارفين منهم. ومخالفاً لما عهدوه من دعوات الأنبياء من قبله. وذلك لأن طبيعة البشارة والتبشير لا تحمل في طياتها جديداً يحملهم على الوقوف منه بالقبول أو الرفض. بل هو أخبار سارة ومفرحة جعلتهم ينظرون إلى بعثته كما لو كانت نشازاً نابئاً عن النبوة، وإليه هو كمفارق لأمثاله من الأنبياء، فجوبه ومن اليوم الأول بالمعارضة الشديدة والإنكار الواسع من قبل معظم طوائف بني إسرائيل وفرقهم الدينية. فاضطر عليه السلام إلى التصدي لمعارضتهم بالنقد الدقيق لآرائهم وأفكارهم بل وسلوكياتهم التي لا تتفق مع الشريعة، وهو النقد الذي غطى صفحات كثيرة من روايات الحواريين،ما عدا توما الذي روى عنه روايتين كلتاهما موجهتين إلى حوارييه وقاصرتين على الفريسيين والكتبة، فقال عليه السلام في الأولى منها:

"ويل للفريسيين، لأنهم مثل الكلب الذي ينام في معلف الثيران، فلا هو يأكل ولا يدع الثيران تأكل"(١).

وقال في الثانية:

"استلم الفريسيون والكتبة مفاتيح العلم، ثم أخفوه، ولم يسمحوا لأولئك الذين يرغبون في العلم من الدخول" (٢).

والقول الثاني رواه متى ضمن إحدى الخطب التي ألقاها عليه السلام أمام جمع من الكتبة والفريسيين، ولكن مع اختلاف ينحصر في أن الذي أغلقه الكتبة والفريسيون في وجه الناس هو ملكوت السموات لا العلم، قال فيه:

"ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين" (٣).

أما رواية برنابا فلم تكن كرواية متى خطاباً مباشراً للكتبة والفريسيين، بل

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 53.

(٢) Ibid. P. 25.

(٣) إنجيل متى ١٣ : ٢٣.

كانت وصفاً لهم خص به طائفة معينة من مستمعيه. جاء فيها:

"فعلى آية حال إذا الكتبة والفريسيون الذين معهم المفتاح ولا يدخلون بل يمنعون الذين يريدون الدخول في الحياة الأبدية" [١].

يوحنا المعمدان

عندما سمع يوحنا المعمدان وهو في الحبس بمبعث عيسى بادر بإرسال بعضاً من تلاميذه ليسألوه قائلين:

"أنت هو الآتي أم ننتظر آخر" [٢].

ويريد يوحنا بسؤاله هذا أن يبين له عيسى هل هو أحمد المبشر به على لسان جميع أنبياءهم. أم بعث هو كغيره مبشراً الناس بمقدمه، وأياً كانت إجابته فهي لا تعنينا هنا، بقدر ما تعنينا شهادته عليه السلام عن يوحنا، فهي التي دخلت في صميم الإنجيل، وحرص كل من متى ولوقا على روايتها بلا خلاف يذكر، جاء فيها:

"فلما مضى رسولا يوحنا ابتدأ يسوع يقول للجميع عن يوحنا، ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا أقصبة تحركها الريح. لكن ماذا خرجتم لتنتظروا إنساناً لابساً ثياباً ناعمة، هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك، لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبياً، نعم أقول لكم وأفضل من نبي، فإن هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. الحق أقول لكم لم يقم بين المولدين من النساء أعظم من يوحنا، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه [٣].

---

(١) إنجيل برنابا ص ٢٧١.

(٢) إنجيل متى ١١ / ٢ وإنجيل لوقا ٧: ١٩.

(٣) إنجيل متى ٧: ١١ وإنجيل لوقا ٧: ٢٤ - ٢٥.

وفيما يبدو من رواية توما أنه ركــز فقط على عظمة يوحنا وفضله عمن سواه في ميزان النبوة، فروي عنه قوله عليه السلام:

" من آدم وحتى يوحنا المعمدان، فأنه ليس هناك من بين المولدين من النساء من هو أفضل ولا أعظم من يوحنا المعمدان، ولذلك فإن عينه لا تنكسر أمام أحد " (١).

ثم أزال بعد ذلك الغموض الذي اكتنف عبارة متى ولوقا التي استدرك فيها عليه السلام قائلاً: ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه. حيث حدد وبشيء من الوضوح إمكانية حوارييه وغيرهم للتفوق على يوحنا، فروى توما قوله:

"ولكني قلت لكم: عندما يصبح كل واحد منكم كطفل سيعرف ملكوت السموات، وبالتالي يصير أفضل من يوحنا المعمدان" (٢).

ولتوما أيضاً رواية أخرى لم يذكر فيها يوحنا صراحة ولكنها مطابقة لما رواه متى ولوقا ضمن وقائع قصة يوحنا السابقة، يقول فيها:

"قال عيسى لماذا خرجت إلى البرية ألترى قصبة تهتز بفعل الرياح، أو لترى إنساناً يرتدي ثياباً ناعمة، انظر إلى أعظم ملوكك فهؤلاء هم الذين يرتدون ثياباً ناعمة، وليسوا قادرين على معرفة الحقيقة" (٣).

دخول الغني الجنة

أثر عن عيسى حكمه بصعوبة دخول الأغنياء الجنة، وأخذ حكمه هذا شهرة عريضة حتى صار مضرب الأمثال، فروى عنه متى ومرقس الرواية التالية:

" فنظر عيسى حوله وقال لتلاميذه: ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله، فتحير التلاميذ من كلامه، فأجاب عيسى أيضاً وقال لهم: يا بني ما

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 27.

(٢) Ibid. P. 27.

(٣) Ibid. P. 43.

أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله، مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله "[١].

ولا نص على هذا الحكم في رواية توما، ولكن توما روى عن عيسى روايتين فيهما ذكر للأغنياء، ويفهم منهما ما يفهم من الرواية السابقة. يقول عليه السلام في الأولى منها:

"دعوا من غدا غنياً ليصير ملكاً، ودعوا من بيديه السلطة للتخلى عنها"[٢].

ويقول في الثانية:

"كل من وجد العالم وأصبح غنياً فدعوه ينكر العالم"[٣].

وتفرد توما عن باقي الحواريين بأن روى مواعظ ووصايا تحث الأغنياء على صرف أموالهم في وجوه الخير، وابتغاء مرضاة الله، فقال عليه السلام:

" لقد أفهمت أسراري إلى أولئك الذين لا يدعون يدهم اليسرى تعرف ما تفعله يدهم اليمنى "[٤].

وقال أيضاً:

"إذا كان بحوزتك مال فلا تعيره أدني اهتمام، بل أمنحه إلى من لا تسترده منه"[٥].

اختيار الحواريين

اختار عيسى عدداً من بني قومه لمشاركته في التبشير بدعوته وموازرته فيها، وهو اختيار أسس على الوحي، وذلك بأن ألقى الله في قلوبهم الإيمان والتصديق

---

(١) إنجيل مرقس ١٠: ٢٣ - ٢٥ إنجيل متى ١٩: ٢٣ - ٢٤.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 25.

(٣) Ibid. P. 55.

(٤) Ibid. P. 35.

(٥) Ibid. P. 49.

به إلهاماً ووحياً. غير أن صفة الاختيار من قبله عليه السلام بقيت بارزة في رواية الحواريين، منها قوله الآتي لحوارييه والذي رواه يوحنا:

" لستم أنت اخترتموني بل أنا الذي اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم لكي يعطيكم الله كل ما طلبتم باسمي "[١].

وأضاف برنابا في روايته الشيء اليسير على الرواية السابقة، فقال فيها عيسى:

" لستم أنتم الذين اخترتموني، بل أنا الذي اخترتكم لتكونوا تلاميذي. فإذا أبغضكم العالم تكونون حقاً تلاميذي، لأن العالم كان دائماً عدو عباد الله"[٢].

أما توما فروى عنه ما يفيد أن تخصيص الله تعالى لأولئك الحواريين هو من قبيل الاجتباء والاصطفاء فقال لهم:

"أنا اخترتكم، واحد من بين كل ألف، واثنين من بين كل عشرة آلاف، وسيقف الجميع كالفرد الواحد"[٣].

وعلى أي حال فإن اختيار الله تعالى للحواريين هو من قبيل التخصيص الذي يحظى به الأنبياء والرسل ومن شاء تعالى أن يصطفيه من عباده. ولكنه اختيار لا ينزلهم منزلة الأنبياء والرسل، وذلك لأن الأنبياء والرسل يقدمون على غيرهم تقديماً هو الاجتباء الذي يحلهم من ذاته العلية محل الإيثار الذي يجعلهم على الدوام في معيته وتحت حفظه ورعايته، ولا يكون لأحد من خلقه عليهم سبيلاً، في حين خصص الحواريون لعيسى تخصيصاً هو له من قبيل الاصطفاء والاجتباء والإيثار، فوضعهم الله تحت رعايته وشملهم بحمايته.

---

(١) إنجيل يوحنا ١٥ : ١٦.

(٢) إنجيل برنابا ص ٥٨.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 19.

الأعظم من حواريي عيسى

جرت محاورة بين الحواريين شبيهة بالمحاجة بين النظراء حول من عسى يكون الأعظم فيهم، أو على حد تعبير لوقا: من يظن أنه يكون الأكبر"[1]. فرد عليهم رداً اختلف في روايته كل من متى ومرقس ولوقا، فيرى متى قائلاً:

"وقال: الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات" [2].

ويروي مرقس قائلاً:

"فجلس عيسى ونادى الاثنى عشر وقال لهم:

"إذا أراد أحد يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل" [3].

"فقال لهم: ملوك الأرض يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين، وأما أنتم فليس هكذا، بل الكبير فيكم فليكن الأصغر، والمتقدم كالخادم لأن من هو أكبر، الذي يتكئ أم الذي يخدم، أليس الذي يتكئ، ولكني أنا بينكم كالذي يخدم، أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي" [4].

أما رواية توما فمغايرة كلية للروايات السابقة، وذلك لأن الحواريين ربطوا فيها بين مغادرته هو للعالم، وبين أيهم هو الأكبر أو الأعظم فيهم فسألوه قائلين:

"نحن نعرف أنك سوف تغادرنا، فمن منا الذي يفوقنا عظمة ورفعة"[5].

فرد عليهم رداً يخلو تماماً من معاني التواضع والتذلل والبعد عن الكبر والتكبر والتي كانت محور إجابته السابقة، فروى توما عنه هذه العبارة الغامضة:

---

(١) إنجيل لوقا ٢٢ : ٢٤.

(٢) إنجيل متى ١٨ : ٢٠.

(٣) إنجيل مرقس ٩ : ٣٥.

(٤) إنجيل لوقا ٢٢ : ٢٥ - ٢٨.

(٥) The Gospel According to Thomas P. 9.

"من أي مكان اتيتم فأنكم بلا شك ذاهبون إلى يعقوب الصالح الذي من أجله خلقت السموات والأرض" (١).

شروط اتباع عيسى

وضع عيسى عليه السلام وفي مفتتح نبوته لحوارييه حداً أدنى فيه يتبوأ عندهم درجة الأهلية لاتباعه والاقتداء به، وحداً أعلى على لاستحقاقهم صفة التلميذ والحواري، فروى عنه متى قوله.

"من أحب أباً أو أكثر منى فلا يستحقني، ومن أحب أبناً أو أبنه أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني" (٢).

وروى عنه لوقا قوله:

"إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه و أمه وامرأته وأولاده وإخوانه حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً، ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (٣).

وروى توما هذين القولين أسوة بإخوانه وفي موضعين من إنجيله، قال في الأول منها:

"كل من لا يبغض أباه وأمه من أجلي لا يمكن أن يكون تلميذاً لي، وكل من لا يبغض إخوانه وأخواته ولا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني" (٤).

وقال في الثاني:

"كل من لا يبغض أباه وأمه من أجلي لا يمكن أن يكون تلميذاً لي، وكل

---

(١) Ibid. P. 9.

(٢) إنجيل متى ١٠: ٢٧ - ٢٨.

(٣) إنجيل لوقا ١٤: ٢٥ - ٢٧.

(٤) The Gospel According to Thomas P. 31.

من لا يحب أباه وأمه لا يمكنه أن يكون تلميذاً لي. أمي الحقيقية هي التي منحتني الحياة"[١].

اشترط عيسى على حوراييه وكما هو واضح من مضمون هذين القولين درجة من الحب له تصل إلى حد الكراهية لكل محبوب لهم ولو كانت الأم وسائر الأهل، وتحملهم في سبيله أشد أنواع الأذى والعذاب، ولـو كان الموت على الصليب مثل عتاة القتلة والمجرمين.

موعظة الجبل

جمع عيسى عليه السلام حوارييه في بداية نبوته وصعد بهم إلى جبل الزيتون. وهناك وتحت ظل الأشجار جلس والتفوا هم من حوله، ليلقى عليهم أول خطبة وموعظة احتوت على جملة من التعاليم الموجهة لهم في مستهـل حياتهم كمبشرين، وهي التي عرفت في أدبيات الإنجيل بموعظة الجبل، ووردت بروايات مختلفة عند متى ومرقس ولوقا وبرنابا، أما توما فقد روى منها سطوراً قلائل هي التي يصف فيها عليه السلام غبطته وسعادته بمآل بعض الناس وحسن جزاءهم يوم القيامة، جاء فيها:

"طوبى لك أنت عندما تكره وتضطهد، لأنك سوف تجد لك مكانـاً لن تكره أو تضطهد فيه، طوبى لأولئك الذين اضطهدوا في قلوبهم، فهؤلاء هم الذين يعرفون الله في الحقيقة، طوبى للجياع لأنهم سيملأوون بطونهم بما يرغبون ويشتهون" [٢].

ثم روى وفي مكان لآخر من إنجيله خاتمة الموعظة والتي خصصها عيسى عليه السلام لقصة رجل غني طمع في زيادة ثروته ولكنه خسر بطمعه كل شيء، قال فيها:

"كان هناك رجل غني، وكان يملك أموالاً طائلة، فقال: سأستغل أموالي

---

(١) Ibid. P. 51.

(٢) Ibid. P. 39 - 41.

بحيث يمكنني أن أبذر وأغرس وأزرع ثم أحصد وأملأ مخازني بالثمار وبالتالي لا أحتاج إلى شيء. إن هذا ما كان يخطط له في قلبه، وفي تلـك الليلة مات الرجل الغني، من كان له أذنان سامعتان فليستمع" [١].

إن مارواه توما لا يكاد يختلف في المعنى عما رواه متى ولوقا وبرنابا، سواء في تعبيره عليه السلام عن فرحه وسروره، أو في قصة الغني الخاسر، نورد وعلى سبيل المثال رواية متى عن فرحه وسروره، ورواية برنابا عن قصة الخاسر، فيروي متى قوله:

"طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للحزانى لأنهم يتعزون، طوبي للودعـاء لأنهم يرثـون الأرض، طوبى للجيـاع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون، طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات" [٢].

ويروي عنه برنابا قوله:

"أغنياء العالم على رخائهم جياع وسيهلكون، كان غني ازدادت ثروته، فقال ماذا أفعل إني أهدم إهرائي لأنها صغيرة وأبني أخرى جديدة أكبر منها، فتظفرين بمناك يا نفسي، إنه لخاسر، لأنه في تلك الليلة توفى" [٣].

الحجر الذي رفضه البناؤون

وردت عبارة الحجر الذي رفضه البناؤون في مزامير داود ضمن نبوة أخبر فيها بمبعث محمد رسول الله، حيث شبه ووصف له فيها الحجر الذي تركه البناوؤن، وعد هذا الحجر المبعد والمؤخر في معظم تفسيراته كناية عنه صلى الله عليه وسلم. يقول داود عليه السلام:

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 31.

(٢) إنجيل متى ٥ : ٣ - ١٠.

(٣) إنجيل برنابا ص ٥٥.

"الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب، كان هذا هو عجيب في أعيننا" [1].

ولما بعث عيسى عليه السلام مبشراً بالنبي الخاتم أشار إلى نبوة داود تلك كحقيقة بديهية وشائعة بين الناس. فقال لهم القول الذي رواه كل من متى ومرقس ولوقا بعبارات واحدة:

"أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب، كان هذا هو عجيب في أعيننا" [2].

ثم عقب عليه السلام على قراءتهم تلك بعبارة:

"كل من يسقط على الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه" [3].

وذلك منه عليه السلام بشارة لحوارييه باقتداره ﷺ على من نأواه أو حاربه من أعداءه، فوصفه بالصخرة التي تسحق كل من تسقط عليه، ومن يسقط عليها يدق عنقه لا محالة.

أما رواية توما عن تلك النبوة فهي على إيجازها تدل على نسبتها إلى داود وعلى شيوع تلك النسبة بين حوارييه، حتى تحول الحجر من صفة وحلية إلى شيء مادي ومحسوس. وأشار في خطابه إليهم كما لو كان ماثلاً بين أعينهم، فقال لهم:

"أروني الحجر الذي رفضه البناؤون، إنه حجر الزاوية" [4].

السبت

أوجبت الشريعة الموسوية الراحة والكف عن العمل يوم السبت، ولكن الوجوب استحال عند مبعثه عليه السلام إلى مطلق منع عن الاشتغال بأي من

---

(١) مزامير داود ١١٨ -: ٢٢ - ٢٣.

(٢) إنجيل متى ٢١: ٤٤.

(٣) إنجيل متى ٢١: ٤٤.

(٤) The Gospel According to Thomas P. 39.

الأعمال ولو كان من أعمال الخير، وبذلك جرد الفعل من قيمته التعبدية وتحول إلى تقليد محض، فكانت بشارته لقومه لتصحيح العبادة فيه مثار استنكار واستهجان واسع، روى الحواريون نماذج كثيرة عنها، وبما يشبه الإجماع، نكتفي منها بهذه الواقعة التي رواها يوحنا:

"... فأتوا إلى الفريسيين بالذي كان قبلاً أعمى. وكان سبت حين صنع عيسى الطين وفتح عينيه، فسأله الفريسيون أيضاً كيف أبصر، فقال لهم وضع طيناً على عيني واغتسلت فأنا أبصر، فقال قوم من الفريسيين هذا ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت"(١).

أما رواية توما فقد وردت على شكل نصيحة لمن كان حاضراً يستمع إليه، فقرن عليه السلام فيها بين الأمر التكيفي والجزاء، جاء فيها:

"إذا كنت زاهداً ولكن ليس في الدنيا فلن تجد الملكوت، وإذا لم تحافظ على السبت كسبت. فلن ترى الله"(٢).

اقتصرت رواية توما على التقيد بوجوب الراحة يوم السبت كأمر تعبدي، والثبات والمحافظة عليه منعاً له من التغيير والحريف، وهو كفرض وواجب يشبه غيره من الواجبات والفروض التي يتدرج فاعلها في نوال رضا الله حتى يحظى برؤيته تعالى. وبالتالي فالأمر به لا ينفصل عن غيره من الواجبات الحسنة والخيرة، وكل فعل حسن وخير لا يخل به ولا يخرجه من جملة العبادات، وبذلك يكون عيسى عليه السلام قد تجاوز المظهر السطحي الذي تمسك به قومه ونفذ إلى جوهر وروح الواجب.

الإيمان يفعل المستحيل

ربط عيسى عليه السلام وفي أكثر من مناسبة بين الإيمان وفعل المستحيل، فروى عنه مرقس قوله:

---

(١) إنجيل يوحنا ٩: ١٣ - ١٦.

(٢) The Gospel According to Thomas. p. 19.

"ليكن لكم إيمان بالله، لأني الحق أقول إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر لا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له" (١).

وروى متى قوله:

"أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم" (٢).

حافظ توما في روايته على هذا المعنى دون أن يتطرق إلى ذكر الإيمان كعامل جوهري. فكأنه لازم من لوازم عمل المحال، فقال فيه:

"عندما تجعلون الاثنين واحداً. تصحبون أبناء الإنسان، وعندما تقولون للجبل تحرك فسوف يتحرك" (٣).

وفي رواية أخرى لتوما حل السلام محل الإيمان كأداة لصنع المحالات حيث قال فيها عيسى:

"لو أقام اثنان السلام مع بعضهما في البيت الواحد، فبإمكانهما أن يقولا للجبل تحرك وسيتحرك الجبل" (٤).

العرس والعريس

ضمن واحدة من خطبه عليه السلام التعليمية لحوارييه، وبعد أن محص لهم النصح بأن يدخروا لأنفسهم كنزاً لا ينفذ في اليوم الآخر، شبههم بهذا المثل الذي رواه عنه لوقا، حيث قال فيه:

"وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس، حتى إذا جاء وقرع

---

(١) إنجيل مرقس ١١: ٢٢ - ٢٣.

(٢) إنجيل متى ١٢: ٢١ - ٢٢.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 53.

(٤) Ibid. P. 29.

يفتحون له للوقت، طوبى لأولئك العبيد إذا الذين جاء سيدهم يجدهم ساهرين"[1].

وضمن إطار مغاير لإطار لوقا ومع احتفاظه بصورة المثل وعباراته روى يوحنا عن عيسى ما نصه:

"من العرس فهو العريس. وأما صديق العريس فهو الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صديق العريس" [2].

"وجاءت رواية توما في مجملها مخالفة لهاتين الروايتين، ولكنها تتفق معهما في فكرة الانتظار والدخول الذي لا يحظى به إلا القليل من المنتظرين، قال فيها عيسى:

"الكثير يقفون على الباب، ولكن المنفرد بنفسه هو الذي يدخل غرفة العريس"[3].

وبدمج الروايات الثلاثة تكتمل صورة المثل، فالحواريون دواماً على أهبة الاستعداد للقاء الله. ومتى أذن الله بالقيامة يجدهم في انتظاره فرحين ومستبشرين، تماماً مثل صديق العريس الذي يفرح لسماع صوت العريس، وفي حين يقف الكثير في ذلك اليوم منتظرين السماح لهم بدخول الجنة، فيأذن الله فقط إلى أولئك الذين انفردوا على غيرهم وذلك لأنهم أخذوا استعدادهم ليوم اللقاء.

وفي مناسبة أخرى استخدم عيسى مثل العرس والعريس وذلك للرد على بعض معارضيه فروى مرقس ولوقا ما يلي:

"وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون، فجاءوا وقالوا له: لماذا يصوم يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون، فقال لهم هل يستطيع بنو العريس أن

---

(١) إنجيل لوقا ١٢: ٣٦ - ٣٧.

(٢) إنجيل يوحنا ٣: ٢٩ - ٣٠.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 19.

يصوموا والعريس معهم، ما دام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا، ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام "[1].

يقوم اعتراض السائلين على عدم تميز حوارييه بما تميز به من هم على شاكلتهم من إتباع الرسل والأنبياء، والذين اشتهروا بين الناس بحرصهم الشديد على الصيام، فرد عليهم مشبهاً نفسه بالعريس ومشبهاً حوارييه بأهل العريس الذين يستمدون فرحهم وسرورهم من فرح وسرور عريسهم، وكذا حال عيسى فهو بصفة النبوة يمثل لحوارييه مركز الحركة، وهم على الدوام في صحبته ومعيته، فإن وجودهم من وجوده، وعبادتهم مقرونة بعبادته، فإذا ارتفعت عنه هذه الصفة، والمميزة له عنهم، فحينئذ يمكنهم إن يتميزوا عن غيرهم.

ولعل رواية توما وعلى الرغم من اختلافها البين عن رواية مرقس ولوقا ناطقة بالتفسير السابق، قال فيها:

"وقالوا له: تعال ودعنا نصلي اليوم ونصوم، فقال عيسى، ما هي إذن الخطيئة التي اقترفتها، أو في ماذا أنا قهرت وغلبت، ولكن عندما يغادر العريس غرفة زفافه، عندئذ دعوه يصلي ودعوه يصوم"[2].

الإنسان النوراني

أعتبر عيسى عليه السلام حاسة البصر بوصفها بوابة الإنسان للعالم الخارجي، ومدخل العالم الخارجي للإنسان، دلالة أكيدة على تحديد صفة الخير والشر في الجسم البشري، وبيان مقدار ما فيه من نور، فروى عنه متى ولوقا قوله:

"سراج الجسد هو العين، فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون خيراً، ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً، انظر إذا لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة، فإن كان جسدك كله نيراً ليس فيه جزء مظلم يكون نيراً كله حينما يضيء لك السراج بلمعانه"[3].

---

(١) إنجيل مرقس ٢: ١٨ - ١٩ وإنجيل لوقا ٥: ٣٣ - ٣٥.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 53.

(٣) إنجيل لوقا ١١: ٣٤ - ٣٦ وإنجيل متى ٦: ٢٢ - ٢٣.

ويظهر من رواية توما أن الجسم النير لا يقف نوره عند حدود الذات، بل يتجاوزه ليضيء وينير كل من حوله، جاء فيها:

"سأل الحواريون عيسى، أرنا المكان الذي أنت مقيم فيه، لأنه من الضروري لنا أن نبحث عنه وننشده، فرد عليهم: من له أذنان سامعتان فليسمع، يوجد في الرجل النوراني على الدوام نور وضياء، وهو يضيء وينير العالم بأجمعه، وعندما لا يضيء وينير فهناك يكون الظلام والظلمة" (١).

أم عيسى وإخوانه

كان عيسى عليه السلام يكلم جماعة من الناس في منزل قد اكتظ بهم، فجاءت إليه أمه وإخوانه، فلم يتمكنوا من الوصول إليه، الأمر الذي أداهم للوقوف بالخارج، ثم أرسلوا إليه أحد الحواريين حاملاً إليه خبر انتظارهم بالخارج ورغبتهم في مقابلته، فرد عليه الرد الذي اتفق على روايته متى ومرقس. قال فيه:

"من هي أمي ومن هم أخوتي، ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال هاهي أمي وأخوتي، لأن من يصنع مشيئته الله هو أخي وأختي وأمي" (٢).

وجاءت رواية توما لتحمل المعنى نفسه، حيث روى قائلاً:

"قال الحواريون لعيسى: أخوك وأمك يقفان بالخارج، فقال لهم: هنا أولئك الذين يطيعون إرادة الله هم أمي وأخي، وهؤلاء هم الذين يدخلون ملكوت الله" (٣).

ولا يفهم من قول عيسى أي إنكار لأمه أو أخواته، بل أراد القول بأن كل من يسمع كلام الله ويطيع إرادته، ويعمل على مرضاته ينزل في نفسه منزلة أمه وإخوانه. أو يكون قريباً من نفسه قرب أمه وإخوانه.

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 19.

(٢) إنجيل مرقس ٣: ٣١ - ٣٤ وإنجيل متى ١٢: ٤٦ - ٥٠.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 51.

هدم الهيكل وبناءه

وردت فكرة هدم الهيكل وإعادة بناؤه من جديد كمقولة منسوبة إلى عيسى في روايات الحواريين في مناسبتين مختلفتين:

الأولى رواها يوحنا ككلام صادر عنه هو شخصياً وذلك في معرض رده على من سأله آية، جاء فيها:

"... فأجاب اليهود وقالوا له أية آية ترينا حتى نفعل هذا، أجاب عيسى وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه، فقال اليهود في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه " (١).

والثانية رواها مرقس كقول سمعه البعض منه فرواه عنه كشهادة ضده، قال فيه مرقس:

"وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على عيسى كي يقتلوه فلم يجدوا، ومع أنه جاء شهود زور كثيرون ولم يجدوا، ولكن أخيراً تقدم شاهداً زور وقالا: هذا قال إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه" (٢).

وسار توما في روايته للقول السابق نفس مسار يوحنا، أي كقول منسوب إلى عيسى، فقال:

"قال عيسى، سأهدم هذا البيت ولن يكون هناك أحد قادر على إعادة بنائه مرة أخرى" (٣).

والراجح أن عيسى عليه السلام أراد أن يبرهن لمن طالبه بالدليل والبرهان على صدق نبوته، أي المعجزة القاهرة. بأنه قادر بإذن الله تعالى وعونه على فعل المستحيل كهدم الهيكل وإعادة بنائه في مدة لا تقاس بالمدة التي بُني وشيد فيها.

---

(١) إنجيل يوحنا ٢: ١٨ - ٢٠.

(٢) إنجيل مرقس ١٤: ٥٣ - ٥٧.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 41.

الكفر بنعمة الله

عزى مجموعة من الكتبة والفريسيين معجزات عيسى كإبراء الأكمة والأبرص إلى الشيطان، ومن ثم اتهموه بأنه رئيس الشياطين القادر وحده على إخراج الشياطين من أجسام المرضى، فرد عليهم رداً طويلاً فند فيه مزاعمهم، وفي ثنايا ذلك الرد قال لهم كما يروي مرقس:

"لا يستطيع أحد أن يدخل بيت قوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولاً حينئذ ينهب بيته، الحق أقول لكم أن جميع الخطايا تغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدفونها، ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية، لأنهم قالوا إن معه روح نجسة"(١).

أما توما فقد آثر وبناء على منهجه في الكتابة تجزئة الرواية السابقة إلى جزئين، قال في الأول منها:

"قال عيسى: ليس من الممكن للمرء أن يدخل منزل الرجل القوي ويأخذ مما عنده دون أن يوثق يديه، آنذاك يمكنه نهب منزله (٢).

وقال في الثاني منها:

"قال عيسى: كل من يجدف على الله يغفر له، وكل من يجدف على الابن يغفر له، ولكن من يجدف على الروح القدس فلن يغفر له أبداً، لا في الأرض ولا في السماء"(٣).

والقول تصوير حسي على زعمهم بأنه هو الشيطان الذي يخرج الشياطين، مبيناً فيه عظم الفارق بين قوته هو الموصولة بقوة الله تعالى على شفاء الأمراض. وقوة الشطان المحددة والتي سبب في كل الشرور والبلايا. وعيسى بقوة الله تعالى لا يفعل أكثر مما يفعله من يدخل بيت جبار عات، فحتى يحقق مراده، فإن أول

---

(١) إنجيل مرقس ٣: ٢٧ - ٣٠.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 35.

(٣) Ibid. P. 25.

ما يفعله هو تجريد الجبار من قوته، بعدها يستطيع فعل ما يشاء في بيته.

أما الذي لا يغفر في الشق الثاني من قوله فالمقصود به على الأرجح ومن خلال سياق رد عيسى وما رواه توما على وجه الأخص هو حكم الله تعالى، وكل رفض أو إنكار لحكمه تعالى فهو كفر صريح بنعمة الله والتي أجراها الله تعالى على يديه، وكفر من هذا النوع لا يغفر أبداً، في حين يغفر ما دونه في الرتبة والمنزلة.

طوبى للبطن والثدي

أعجبت إحدى النساء بخطبة لعيسى فرفعت صوتها معبرة عن فرحها وسرورها بالخطبة والخطيب قائلة كما في رواية لوقا:

"طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما" (١).

أو كما في رواية توما:

"طوبى للرحم الذي أنجبك والصدر الذي أطعمك" (٢).

أما رده عليها فقد رواه لوقا مقتصراً وأسهب فيه توما، فيقول لوقا:

"أما هو فقال، بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه" (٣).

وروى توما قائلاً:

"فقال لها: طوبى لأولئك الذين يسمعون كلام الله ويحفظونه بالفعل، وذلك لأنه ستأتي أيام تقولين فيها: طوبى للرحم الذي لم ينجب والصدر الذي لم يرضع" (٤).

---

(١) إنجيل لوقا ١١ : ٢٧.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 43.

(٣) إنجيل لوقا ١١ : ٢٨.

(٤) The Gospel According to Thomas P. 45.

فعيسى عليه السلام تجاوز في رده عليها الدائرة الشخصية إلى دائرة أوسع، مبدئياً سعادته وفرحه بأولئك الذين يجد كلام الله عندهم الرضاء والقبول، أما أولئك الذين يولون الكلام ظهورهم فسوف يأتي عليهم أيام يقفون فيها مواقف مؤلمة وقاسية الوقع على النفوس، حينئذ ستبدي تلك المرأة سعادتها وغبطتها لذلك الرحم الذي لم ينجب ذرية، ولذلك الصدر الذي لم يرضعها.

نداء عيسى للمتعبين

وجه عيسى عليه السلام في نهاية خطبة له ألقاها أثناء وجود يوحنا المعمدان في الحبس، نداء إلى أولئك الذين أنهكتهم مشاق الحياة، وأرهقت نفوسهم ابتلاءتها المتكررة، حتى أوصلتهم إلى حد الضجر والملل، أن يهرعوا إلى جانبه ويضعوا أحمالهم الثقيلة على كاهله، فقال لهم كما يروي متى:

"تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم، لأن نيري هين وحملي خفيف" [١].

وأجمل توما ذلك النداء فجاءت روايته له على النحو التالي:

"تعالوا إليّ لأن نيري هين، وسلطاني وديع، وعندي تجدون الراحة لنفوسكم المتعبة"[٢].

إن الراحة التي يقدمها عيسى لهؤلاء المتعبين لا تزيل فقط متاعب الحياة ومشاقها، أو تخفف من واقع ابتلاءاتها عليهم، بل هي أيضاً راحة تترقي بالآلام ومكابدتها إلى حد يكون الألم من نصيب الجسد، والراحة من نصيب النفس، ولذلك قرن عليه السلام نداءه بالتعلم منه، فيعاونهم بتعلمهم منه على تحمل جانب من معاناتهم اليومية، وفي الوقت نفسه يقتدون به فيشاركونه بإقتدائهم به في اليسر والسهولة التي يتحمل هو بها الآلام ومشاقها.

---

(١) إنجيل متى: ١١: ٢٨ - ٣٠.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 47.

لا مكان لعيس يستريح فيه

كانت خطب عيسى ومواعظه تحظى على الدوام بالرضى والقبول عند أغلب مستمعيه، وقد يبلغ تأثيرها فيهم في بعض الأحيان حد العزم على التخلي عن كل عرض من أعراض الدنيا وإتباعه في حله وترحاله، وكان عيسى يردهم رداً لطيفاً يبين فيه طبيعة نبوته ورسالته، وبعد واحدة من هذه الخطب تقدم إليه أحد الكتبة طالباً منه أن يتبعه أينما يمضي، فرد عليه عيسى بهذه العبارة التي رواها متى ولوقا:

"للثعالب اوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه"[١].

وهي العبارة نفسها التي رواها توما بغير اختلاف يذكر، قال فيها:

"إن للثعالب أوكار، وللطيور أعشاشها، ولكن ابن الإنسان لا مكان له يضع فيه رأسه ويستريح"[٢].

والعبارة على إيجازها خير وصف وشاهد يعبر عن حالة عيسى عليه السلام، إذ ظل وعلى مدى سنوات نبوته الثلاث ينتقل من مكان إلى آخر مبشراً قومه بما أراد الله التبشير به، حتى غطت تنقلاته معظم أقاليم فلسطين، أما أوقات الراحة والاستجمام فيقضيها عادة في خلوة تامة بعيداً في براري المنطقة، فصحت مقولته بأنه لم يعرف استقرار السكن الذي يعرفه غيره من الناس.

جئت لألقي انقساماً في الأرض

ضمن وصاياه عليه السلام لحوارييه الاثني عشر قبل انطلاقهم للتبشير، وردت عبارة لا علاقة لها بالوصايا رواها متى ولوقا وتوما، فيحكي متى قوله عليه السلام:

---

(١) إنجيل متى ٨: ٢٠ وإنجيل لوقا ٩: ٥٨.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 47.

"لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته"(١).

وتوسع لوقا في روايته فأتي بمعاني أهملها متى، فيقول فيها على لسانه:

"جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا لو اضطرمت، ولي صبغة أصبغها، وكيف أنحصر حتى تكمل، أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض، كلا أقول لكم بل انقساماً، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين، واثنان على ثلاثة، ينقسم الأب على الابن والابن على الأب، والأم على البنت، والبنت على الأم، والحماة على كنتها. والكنة على حماتها"(٢).

أما رواية توما فقد حوت على المعنى الذي أراد عيسى إيصاله لحوارييه فقال عليه السلام:

"ربما يظن الناس إني جئت لألقي سلاماً على العالم، ولا يعرفون أنني جئت لألقي انقساماً على الأرض، وناراً وسيفاً وحرباً، ولذلك فإن البيت الذي فيه خمسة، ثلاثة يكونون ضد الاثنين، والاثنين ضد الثلاثة، والأب ضد ابنه والابن ضد أبيه، وكل واحد منهم يقف إزاء الاخرين وحيداً ومنعزلاً "(٣).

وقال عيسى في موضع آخر، من رواية توما:

"لقد جئت كي القي ناراً، وانظروا إني سأبقى حارساً لها حتى يشتعل العالم كله ناراً "(٤).

ومن الصعب جداً أن لم يكن من المستحيل أخذ عبارته عليه السلام بحرفيتها، كما لا يمكن في الوقت نفسه صرفها عن حقيقتها، وذلك بتفسير ألفاظها تفسيراً مجازياً يناقض دلالتها المباشرة، ولكن اتفاق ثلاثة من الحواريين

---

(١) إنجيل متى ١٠: ٣٤ - ٣٦.

(٢) إنجيل لوقا ١٢: ٤٩ - ٥٣.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 11.

(٤) Ibid. P 7.

على روايتها وبألفاظ متقاربة وضمن توجيهاته عليه السلام قبل انطلاقهم في أول مهمة تبشيرية لهم، يرجح أن مراده ينحصر في أن نبوته ورسالته ذات البعد التبشيري المحض ستحدث زلزالاً عنيفاً في مسلمات قومه الدينية، وثورة في مفاهيمهم الفكرية، وستمتد آثارها إلى الناس من حولهم. فتحدث شرخاً في علاقاتهم الاجتماعية، وانقساماً حاداً بين من يؤمن به ومن يظل على اعتقاده القديم.

محبة الأخ

اشتملت وصايا عيسى لحوارييه ولغيرهم على حب الله محبة خالصة. وعلى محبة القريب وغيره ممن يعدون من مطلوبات النفس البشرية ومرغوباتها، والتي تشعر عندها بالارتياح والسكينة، وقد ورد الحث على تلك المحبة عند معظم كتاب الإنجيل وبنسب ودرجات مختلفة، وخص توما منها بالذكر محبة الأخ فروى عن عيسى قوله:

"أحب أخاك كنفسك وروحك، وحافظ عليه كما لو كان بؤبؤ عينيك"[(١)].

وروى متى الشق الخاص بالمحافظة على الأخ وعدم التفريط فيه حيث قال عليه السلام:

"... وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقط ربحت أخاك وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة" [(٢)].

وتوحي رواية توما بأن مقصوده عليه السلام بالأخ هو الشقيق ومن ولد من الأب، في حين توحي رواية متى بأن المقصود به هو الصديق والصاحب الوفي، وربما مقصوده بالأخوة عموماً أخوة الإيمان في الله، وتلك بلا شك أقوى من أخوة الرحم وأخوة المودة والقربى.

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 19.

(٢) إنجيل متى ١١: ٥ - ٦.

من يقرع يفتح له

ربما كان طول موعظة الجبل واحتواءها على تعاليم كثيرة، وإلقاء عيسى لها في أول زمان نبوته، هو الذي حدا بحوارييه فيما بعد إلى روايتها دون التقيد بإيرادها مجتمعة كما ألقاها عليها في جلسة واحدة. والرواية التالية والتي رواها كل من لوقا ومتى ضمن روايات كثيرة تسلك المسلك الذي جعلها وفي سياق إيرادها لها تكاد تكون مقطوعة الصلة بما قبلها وبما بعدها، قال فيها عيسى:

"اسالوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له"[١].

واقتصر توما كعادته من تلك الرواية بقول عيسى عليه السلام:

"كل من يبحث يجد، وكل من يقرع يفتح له" [٢].

إلا أنه عاد وزاد في رواية مستقلة عن القول السابق زيادة لا توجد عند غيره، فروى عنه قوله:

"ابحثوا فستجدون، ولكن الأشياء التي سألتموني عنها في تلك الأيام لم أخبركم بها بعد، والآن أرغب في أن أخبركم بها،ولكنكم لم تسألوا عنها"[٣].

وروى أيضاً عنه قوله:

"دع من يطلب ألا يكف أو يتوقف عن الطلب إلى أن يجد، فإذا وجد فسيضطرب وقد ينزعج، وعندما يضطرب وينزعج بالفعل، فسيتعجب ويرغب في التحكم والسيطرة " [٤].

---

(١) إنجيل متى ٧: ٧ - ٨ وإنجيل مرقس ١١: ٩ - ١٠.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 49.

(٣) Ibid. P 41.

(٤) Ibid. P. 3.

ومقصود عيسى عليه السلام لحوارييه واضح، فهو يحثهم على دعاء الله إلى حد الالحاح في الطلب، وألا يتسلل اليأس إلى قلوبهم من عدم الاستجابة والقبول، بل عليهم الصبر والانتظار، فإن الله تعالى لا يرد دعوة داع، ولا رجاء مرتجى.

قسمة الميراث

عرفنا من قبل أن الغالب على نبوة عيسى ورسالته هي الصفــة التبشيرية، ولعل الرواية التالية تؤكد على تلك الصفة، وهي التي انفرد بروايتها لوقا حيث قال:

"وقال له واحد من الجمع يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً "[1].

وروى توما قائلا:

"قال له رجل: قل لأخي أن يقاسمني ميراث والدي، فقال له أيها الرجل من الذي جعلني مقسماً، ثم استدار نحو حوارييه وقال لهم: أنا لست مقسماً هل أنا كذلك"[2].

لا يتضمن رد عيسى على عدم دارية وعلم بالمواريث وأحكامها، بل أراد أن يحيله إلى جهة الاختصاص، وسعى في الوقت نفسه أن يظهر له ولغيره طبيعة نبوته ذات البعد التبشيري، والتي لا تقيمه بينهم، حكماً أو حاكماً.

---

(١) إنجيل لوقا ا ذ ٢١: ١٣ - ١٤.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 41.

الكرمة والكّرام

روى يوحنا عن عيسى قوله:

"أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام، كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه، وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر" [١].

ثم شبه مرة أخرى نفسه بالكرمة وحوارييه بالأغصان فقال لهم:

"أنا الكرمة وأنتم الأغصان، الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً، إن كل أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويطرحونه في النار فيحترق" [٢].

شبه عيسى نفسه بالكرمة وحوارييه بأغصان الكرم، والكرم هو كما هو معروف شجرة العنب، ثم حدد قيمة الشجر وأهميتها بمقدار نفعها وفائدتها، وقيد قيمة أغصانها بمقدار ثباتها على أصلها واتحادها، فإذا بقيت الأغصان متحدة وثابتة في الأصل، أنتفع الناس بثمارها، وإذا انفصلت الأغصان عن الأصل جفت وماتت، حينئذ تطرح في النار.

ولأمر ما لم نجد له تفسيراً جرد توما حديث عيسى من صورته التمثيلية، وعراه من الدلالة المستفادة منه، وأبقى على معنى مادي مقطوع الصلة بحديثه السابق، فروى الآتي:

"قال عيسى: إن الكرمة التي زرعت بدون إرادة الله ومشيئته كأن لم تكن زرعت من قبل، وذلك لأنها تنزع من جذورها وتهلك" [٣].

---

(١) إنجيل يوحنا ١٥ : ١ - ٣.

(٢) إنجيل يوحنا ١٥ : ٣ - ٧.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 25.

ختان النفس

لما اعترض على عيسى شفاءه بعض المرضى يوم السبت حيث يحرم الفعل وتمنع الحركة، رد عليهم هذا الرد الذي رواه يوحنا:

"عملاً واحداً عملت فتتعجبون جمعياً، لهذا أعطاكم موسى الختان، ليس أنه من موسى بل من الآباء، ففي السبت تختنون الإنسان، فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا ينقض ناموس موسى، أفتسخطون عليّ لأني شفيت إنساناً كله في السبت"(١).

وما رواه توما في إنجيله يظهر كما لو كان امتداداً للموضوع السابق. وذلك لأن الحواريين سألوا عيسى قائلين:

" هل الختان نافع أم لا ؟

فقال لهم:

" إذا كان الختان نافعاً، فإن آباءهم يولدون من بطون أمهاتهم مختونين، ولكن الختان الحقيقي ختان النفس، وهو النافع بأي طريقة وبكل وسيلة "(٢).

أراد عيسى برده هذا وعلى خواص حوارييه أن ينبههم على النافع لهم في كل وقت وحين. وذلك بالإشارة إلى الختان على أنه مجرد قطع لغلفة زائدة يولد بها الإنسان،فلو كان قطعها نافعاً لولد الناس كلهم مختونين، ثم لفت نظرهم إلى أن القطع الحقيقي هو الذي يكون للإنسان حظ فيه، وهو الذي يكون للنفس، وذلك بالفصل بينها وبين محابها ومطلوبها، ومنعها من الشهوات وكفها عن المعاصي التي تلقى بصاحبها في المهالك.

---

(١) إنجيل يوحنا: ٧: ٢٠ - ٢٣.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 31.

حكمة الأطفال

روى كل من متى ولوقا متفقين ما يلي:

" وفي ذلك الوقت تهلل عيسى بالروح وقال أحمدك أيها الأب رب السموات والأرض، لأن أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال "[1].

أما الذي أخفاه الله عن الحكماء والعارفين وأعلنه في ذلك الوقت للأطفال، فإن الوقائع السابقة عليه لا تفصح عنه ولا تنبئ به، فهي عند متى خطاب توبيخي موجه لمجموعة من المدن كشف فيها عليه السلام عن المصير الأسود الذي ينتظرها يوم الدين، وزاد لوقا عليه بأن قص بعدها مباشرة خبر عودة حوارييه ورسله بعد أداء مهامهم، وتبشيره لهم بكتابة أسماءهم في سفر الخلود.

إن الشيء الوحيد الذي يستفاد من قوله عليه السلام مجرداً عن الوقائع التي قيلت فيه، هو أن الله تعالى قد خص الأطفال بأسرار سترها وكتمها عن العارفين والحكماء، فضلاً عن غيرهم من عوام الناس، ثم كشفها الله تعالى لعيسى وحده، وروى عيسى تلك الخصوصية للحواريين من قبيل الحمد والشكر والتحدث بنعمة الله تعالى.

وربما تكون رواية توما كاشفة لجانب من تلك الخصوصية وفي إطار يحيط به الغموض من كل ناحية، فروى عنه قوله:

" يجب على الرجل الطاعن في السن ألا يتردد في سؤال وليد له من العمر سبعة أيام عن قيمة العمر ومنزلته، وحينئذ سيعيش متوهجاً بالحياة، لأجل أن الكثير من الذين تقدموا على غيرهم سيكونون في المؤخرة وحيدين ومنفردين بأنفسهم "[2].

---

(١) إنجيل متى ١١: ٢٥ وإنجيل لوقا ٣: ٢٠ - ٢٣.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 3.

أحداث مستقبلية

في واحدة من الجلسات العديدة التي عقدت فوق جبل الزيتون تساءل الحواريون عن جملة أمور ستحدث في مستقبل الزمان بعضها عن عودة عيسى الثانية للعالم. وبعضها يتعلق بما إذا كان هناك أنبياء سيرسلون من بعده، والبعض الآخر عن حوادث آخر الزمان، أتفق على روايتها كل من متى ومرقس ولوقا بمعنى واحد وعبارات مختلفة، نكتفي منها برواية متى لاستيفاءها على معظم تساؤلات الحواريين قال فيها:

" وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين، قل لنا متى يكون هذا وما هي علاقة مجيئك وانقضاء الدهر، فأجاب عيسى وقال لهم انظروا لا يضلكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، انظروا لا ترتاعوا، لأنه لابد أن تكون هذه كلها، وليس المنتهى بعد، لأنه تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع، حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم. وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل أسمى، وحينئذ يعثر كثيرين ويسلمون بعضهم بعضاً، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصير إلى المنتهى فهذا يخلص " [(١)].

أما رواية توما عن الموضوعات السابقة فقد شابها الغموض والإبهام وجاءت الإجابة عنها على خلاف المطلوب وبعيدة عن فحوى ومضمون السؤال، فعندما سئل عليه السلام عن وقت ظهوره الثاني، ومتى يرونه، كانت الإجابة التي رواها توما على النحو التالي:

---

(١) إنجيل متى ٢٤: ٢ - ١٤.

"عندما تخلعون ملابسكم دون أن تشعروا بالخجل، وعندما تأخذون ملابسكم وتضعونها تحت أقدامكم وتدوسونها كما يفعل الأطفال الصغار، عندئذ تشاهدون ابن الواحد الحي، ولا تخشون شيئاً " [١].

وعندما سألوه متى تأتي راحة الموت، ومتى يحل وقت العالم الجديد كان رده عليهم كما رواه توما:

" ما كنتم تتوقعون حدوثه فقد حدث، ولكنكم لم تعرفوه " [٢].

وجاءت إجابته عن الأنبياء المرسلين من بعده مثل الإجابات السابقة بعيدة عن المراد، فقال فيها:

" أن الأنبياء والمرسلين سيأتون إليكم، وسيعطونكم ما هو لكم، وأنتم أعطوهم ما في أيديكم، ثم قولوا لأنفسكم، في أي يوم سيأتون ويتسلمون ما هو لهم " [٣].

وفي مشهد من المشاهد التي تسبق القيامة، جاءت رواية لوقا مصورة لتلك الأيام التي تمر بها البشرية في منتهى الوضوح فروى عنه قوله:

" أقول لكم أنه في تلك الليلة يكون اثنان على فراش واحد فيؤخذ الواحد ويترك الآخر، ، تكون اثنتان تطحنان معاً فتؤخذ الواحدة وتترك الأخرى، يكون اثنان في الحقل فيؤخذ الواحد ويترك الآخر " [٤].

وليس في رواية توما شيء شارك فيه لوقا، اللهم إلا المشهد الأول وما دون ذلك فبعيد عن المراد وغامض، جاء فيه:

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 23

(٢) The Gospel According to Thomas P29

(٣) Ibid. P. 47.

(٤) إنجيل لوقا ١٧ : ٣٤ - ٣٧.

" قال عيسى: اثنان ينامان في فراش واحد، الأول يموت والثاني يحيا، فقالت سالومي: من أنت أيها الرجل، ولمن الابن، وهل تأخذ مكانك على مقعدي وتأكل من مائدتي. فقال لها عيسى: أنا هو من ذات الشخص، والتي أعطيت الأشياء التي لوالدي قالت سالومي: أنا من تلاميذك. فقال لها عيسى: لذلك أقول: إذا كان الشخص هو ذاته، فإنه سيمتلئ بالنور، ولكن إذا كان منقسماً فسيمتلئ بالظلمة "[١].

(١) The Gospel According to Thomas P. 35

الفصل الرابع

أمثلـــــة الملكـــوت

يفهم من عبارة ملكوت الله وملكوت السموات في مصطلح الإنجيل، وبناء على طبيعة نبوة عيسى التبشيرية أنها طريق ومنهج للنجاة والخلاص، فتحول بالتالي إلى أمل مرتقب، وغدت عبارته ودل نطقه وبحسب الظاهرة وكما يقول رحمة الله الهندي:

" على أن هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة، وإن المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكون لأجله، وإن مبنى قوانينه لابد أن يكون كتاباً سماوياً، وكل من هذه الأمور يصدق على الإسلام وعلى الشريعة المحمدية " [(١)].

وبناء عليه جاء عيسى مبشراً بظهور دين جديد على الأرض بكتاب جديد يحمل اسم كلام الله، ويتخذ من القوة والاقتدار والمنعة أداة في حكمه وفي تنفيذ وتطبيق أحكامه، وحكمه هو الذي يسود بين الناس، وهو وحده يستحق اسم حكم الله، ومن هنا جاءت رواية الحواريين دالة على فطرية ذلك الدين، ووجوده مغروزاً بعمق في النفس الإنسانية، فيروي توما عن عيسى قوله:

---

(١) إظهار الحق جـ (٤) رحمة الله الهندي ص ١١٧٥.

" إذا قالوا لكم أولئك الذين يرشدونكم إلى طريق الحق، انظروا إلى الملكوت في السماء، فإن طيور السماء آنئذ تتفوق عليكم، وإذا قالوا لكم هو في البحر فإن أسماك البحر حينئذ تعلوكم في الأهمية، لأن ملكوت الله في داخلكم وخارج عنكم، وإذا عرفتم أنفسكم فستعرفون، وعندئذ تعرفون أنفسكم أبناء الله الحي، ولكن إذا لم تعرفوا أنفسكم فأنتم في ضيق وحاجة وفقراء [١] ".

وأقتصر لوقا في روايته على الجانب الفطري في الملكوت، وذلك في معرض رد عيسى على الفريسيين الذين سألوه متى يأتى بملكوت الله فأجابهم:

" لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك لأن ملكوت الله داخلكم " [٢].

وتكاد رواية توما تقارب رواية لوقا ليس فقط حول فطرية الملكوت، بل أيضاً في انتشاره وذيوعه بين الناس إلى حد البداهة، فروى قائلاً:

" قال له الحواريون: متى يأتي الملكوت، فأجابهم قائلاً: إن الملكوت لن يأتي بالتوقع أو الانتظار، ولن يقال انظروا هنا أو انظروا هناك، لأن الملكوت منتشر على الأرض، ولكن الناس لا يرونه " [٣].

إن الحالة التي يتقبل فيها الناس ذلك الملكوت الرباني هي بلا أدني شك حالة البراءة الكاملة المنزهة من كل عيب ونقص، أي حالة الطفولة فروى توما قائلاً:

" رأى عيسى أطفالا يرضعون فقال لحوارييه: إن هؤلاء الأطفال الذين يرضعون مثل أولئك الذين يدخلون الملكوت، فسأله الحواريون: هل نكون أطفالاً رضعاً حتى ندخل الملكوت، أجابهم بقوله: عندما تجعلون الاثنين واحداً، والداخل مثل الخارج، والخارج مثل الداخل، والأعلى كالأسفل، وعندما تجعلون الذكر والأنثى متحدين في شخص واحد، عند ذلك لا يكون الذكر ذكراً

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 3.

(٢) إنجيل لوقا ١٧ : ٢٠ - ٢١.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 55-57.

ولا الأنثى أنثى، وعندما تجعلون العين محل العين، واليد محل اليد، والقدم محل القدم، والفكرة محل الفكرة، عندئذ ستدخلون الملكوت " [(١)].

ولعل رواية يوحنا أدق في التعبير عن مقصود عيسى عليه السلام في عودة الناس إلى مرحلة يكونون فيها أهلاً لتقبل الملكوت، إذ فيها تحدث عن ولادة روحية يعود بها الناس إلى الفطرة التي فطر الله عليها كل مولود، يقول فيها يوحنا:

" كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود، هذا جاء إلى عيسى ليلاً وقال له يا معلم إنك قد أتيت من الله معلماً، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه، أجاب وقال: الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله، قال له نيقوديموس كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ، العله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد. أجاب عيسى: الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله، المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح روح هو، لا تتعجب إني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق، الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من ولد من الروح " [(٢)].

وحافظ كل من مرقس ولوقا في روايتيهما وإلى حد كبير على عمق الصلة بين الفطرة التي يولد عليها الأطفال، واستعدادهم الجبلي لتقبل الدين الحق، وبين الملكوت. فرويا عن عيسى ما يفيد تلك الصلة دون الإشارة إلى تلك الولادة الروحية، فروى مرقس قائلاً:

" وقدموا إليه أولاداً لكي يلمسهم، وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدموهم، فلما رأى عيسى ذلك اغتاظ وقال لهم دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 17.

(٢) إنجيل يوحنا ٣: ١ - ٧.

لمثل هؤلاء ملكوت الله، الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله [١].

وبلا أدني شك فإن لما في هذا الملكوت من خير إلهي عميم هو الذي جعل عيسى يدعو بهذا الدعاء الذي تفرد توما بروايته، حيث قال:

" مبارك عليكم ملكوت السماء " [٢].

ولأجل الأهمية التي يحملها هذا الملكوت أو الدين الجديد، فقد ضرب عليه السلام أمثلة عديدة له، وذلك تقريباً له لإفهام العارفين، وتيسيراً لهم على قبوله عند ظهوره فعلاً، والأمثلة كما رواها توما مقارنة مع غيره من الحواريين هي:

المثل الأول:

اتفق كل من متى وتوما على رواية المثل التالي، واختلفا في صياغته لغة، فجاء في رواية متى قول عيسى:

" يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلي حسنة، فلما وجد لؤلؤة كبيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها " [٣].

وروى توما قوله:

" يشبه ملكوت الله إنساناً تاجراً كان يملك بضائعاً وسلعاً كثيرة، فلما وجد لؤلؤة كبيرة، وكان ذلك التاجر عاقلاً، باع بضائعه واشترى اللؤلؤة لنفسه" [٤].

فملكوت السموات أو ملكوت الله يُشبه في هذا المثال بإنسان يتاجر في مختلف السلع. بل هو تاجر ينشد دوماً اللؤلؤ كأثمن شيء يتاجر فيه الإنسان، وأثناء حركته في البحث والطلب عثر على لؤلؤة كبيرة تفوق غيرها نفاسة، فباع

(١) إنجيل مرقس ١٠: ١٣ - ١٥.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 31.

(٣) إنجيل متى ١٣: ٤٤.

(٤) The Gospel According to Thomas P. 44.

ما يملك واشتراها لنفسه، وهكذا الإنسان العاقل يطلب دوماً حكم الله ودينه، ويضحي في سبيله بكل غال ورخيص.

المثل الثاني

وفي هذا المثل شبه عيسى الملكوت بالكنز المدفون في باطن الأرض أي هو كالمال المدخر، والذي لا يعرف قيمته إلا من عثر عليه وأفاد منه، والمثل رواه توما بتفصيل دقيق وأوجزه متى إيجازاً مخلاً، جاء في رواية توما:

"يشبه الملكوت رجلاً عنده كنز مخبوء في حقله، ولا يعرف أين خبأه، وبعد وفاته تركه لابنه، ولكن الابن لم يعرف عنه شيئاً، وآل إليه ذلك الحقل كما ورثه ثم باعه، وذهب الذي اشتراه منه إلى الحقل وبينما هو يحرث فيه عثر على الكنز، وعلى الفور بدأ يقرض المال لكل من يرغب" [(١)].

واقتصر متى في روايته له على قوله:

" يشبه ملكوت الله كنزاً مخفياً وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل " [(٢)].

المثال الثالث

سأل الحواريون ذات مرة عيسى بماذا يشبه ملكوت الله، فأجابهم هذه الإجابة التي رواها كل من مرقس ومتى ولوقا:

" يشبه ملكوت الله حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور التي على الأرض، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول، وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتتأوى تحت أغصانها " [(٣)].

---

(١) Ibid. P. 55.

(٢) إنجيل متى ١٣: ٤٤.

(٣) إنجيل متى ١٣: ٣١ - ٣٣ وإنجيل مرقس ٤ ٣٠ - ٣١ وإنجيل لوقا ١٣: ١٨ - ١٩.

والإجابة نفسها هي التي أوردها توما بلا تغيير في المعنى، جاء فيها:

"سأل الحواريون عيسى قائلين: أخبرنا بماذا يُشبه ملكوت السماء، أجابهم قائلاً: إنه يشبه حبة خردل أصغر من جميع أنواع الحبوب، ولكن عندما سقطت على أرض خصبة نمت وأثمرت أغصاناً عريضة، وأصبحت الأغصان العريضة مأوى لطيور السماء"(١).

شبه عيسى الدين الحق هنا وفي بداية أمره بحبة الخردل الصغيرة والتي زرعت في أرض العرب الخصبة والمستعدة لتلقي خبر السماء، ثم نمت الحبة وترعرعت في فترة قصيرة حتى أصبحت شجرة ضخمة وارفة الظلال، وامتدت فروعها يمنياً وشمالاً، وفي ظلها الظليل يأوي الجميع فيتخلصوا من جحيم الكفر والضلال.

المثل الرابع

روى هذا المثل متى وبرنابا بشيء من التفصيل، نورد هنا ما رواه متى على لسان عيسى بتمامه:

" يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله، وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى، فلما طلع النبات وصنع ثمراً حينئذ ظهر الزوان أيضاً، فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعاً زرعت في حقلك، فمن أين له زوان، فقال لهم إنساناً عدو فعل هذا فقال له العبيد، أتريد أن تذهب وتجمعه. فقال لا لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه، دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد، وفي وقت الحصاد أقل للحصادين أجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزماً ليحرق وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني "(٢).

أما توما فقد اختصر المثل السابق اختصاراً شديداً شابه في بعض نواحيه الغموض، جاء فيه:

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 15.

(٢) إنجيل متى ٣: ٢٤ - ٣٠.

" يشبه ملكوت الله إنساناً كان له بذرة صالحة، فجاء عدوه ليلاً ونثر حبة ضارة وسط البذرة الصالحة، ولم يسمح الرجل لعماله باقتلاع الحبة الضارة فقال لهم، مخافة أن تذهبوا وتقلعوا الحبة الضارة ومعها الحبة الصالحة، وذلك لأنه في يوم حصاد الحبوب ستظهر الحبة الضارة، وعندئذ ستقلعونها ثم تحرقونها "(١).

وبناء على رغبة حوارييه فسر عيسى المثل تفسيراً أتفق أيضاً على روايته كل من متى وبرنابا، نورد هنا رواية برنابا التالية:

"... أما ما يختص الإنسان الزارع فالحق أقول لكم إنه الله ربنا، والحقل الذي يزرع فيه هو الجنس البشري، والبذار هو كلمة الله، فمتى أهمل المعلمون التبشير بكلمة الله لانشغالهم بمشاغل الدنيا زرع الشيطان ضلالاً في قلب البشر، ينشأ عنه أنواع لا تحصى من التعليم البشري، فيصرخ الأنبياء والأطهار:

يا سيد ألم تعط تعليماً صالحاً للبشر. فمن أين إذا الأضاليل الكثيرة فيجيب الله، إني أعطيت البشر تعليماً صالحاً، ولكن بينما كان البشر منقطعين إلى الباطل زرع الشيطان ضلالاً يبطل شريعتي، فيقول الأطهار: يا سيد إننا نبدد هذه الأضاليل بإهلاك البشر، فيجيب الله لا تفعلوا هذه لأن المؤمنين يهلكون مع الكافرين، ولكن تمهلوا إلى الدينونة، لأنه في ذلك الوقت ستجمع ملائكتي الكفار فيقعون مع الشيطان في الجحيم والمؤمنون يأتون إلى مملكتي "(٢).

المثل الخامس

يدور هذا المثل عند كل من متى ولوقا وتوما حول معنى عام مفاده: أن هناك إنساناً قد أعد وليمة، ثم أرسل خدمه لدعوة أناس عينهم بالاسم والصفة، ولكنهم اعتذروا له بأعذار شتى، وبالتالي لم يحضر منهم أحد، مما أضطره أن يرسل خدمه إلى مفارق الطرق لدعوة من يجدونه بلا تحديد وتعيين، أما من

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 31.

(٢) إنجيل برنابا ص ٢٠٤، ٢٠٥.

حيث التخصيص والتفصيل معاً فإن رواية متى تختلف عن رواية لوقا وتوما اختلافاً واضحاً. فيروي متى نص قول عيسى التالي:

"يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه وأرسل عبيده ليدعوا المدعويين إلى العرس. فلم يريدوا أن يأتوا، فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلاً للمدعويين هوذا غذائي أعددته، ثيراني ومسمناتي قد ذبحت وكل شيء معد تعالوا إلى العرس، ولكنهم تهاونوا ومضوا واحد إلى حقله. وآخر إلى تجارته، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم، فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك القاتلين وأحرق مدنهم، ثم قال لعبيده أما العرس فمستعد وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين، فأذهبوا إلى مفارق الطريق وكل من وجدتموه فأدعوه إلى العرس،فخرج أولئك العبيد إلى الطرق وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين، فامتلأ العرس من المتكئين"[١].

أما رواية لوقا وتوما فالفارق الرئيسي وبغض النظر عن التفاصيل الجزئية الصغيرة يكمن في اختصار الأول وتفصيل الثاني لها تفصيلاً دقيقاً. يقول فيها لوقا:

" إنسان صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين، وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين تعالوا لأن كل شيء قد أعد، فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون قال له الأول إني اشتريت حقلاً وأنا مضطر أن أخرج وأنظر، أسألك أن تعفيني، وقال آخر إني اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماض لامتحنها، أسألك أن تعفيني، وقال آخر إنى تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن آجي، فأتي ذلك العبد وأخبر سيده بذلك، حينئذ غضب رب البيت وقال لعبده أخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها وأدخل إلى هنا المساكين والجوعى والعرج والعمي فقال العبد يا سيد قد صار كما أمرت ويوجد أيضاً مكان، فقال السيد للعبد أخرج إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي، لأني أقول لكم ليس واحد مني من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائي"[٢].

---

(١) إنجيل متى ٢٢: ٣ - ١٠.

(٢) إنجيل لوقا ١٤: ١٦ - ٢٤.

ويروى توما ما نصه:

" قال عيسى: كان لرجل أصدقاء. فاعد لهم مأدبة عشاء، ثم أرسل خادمه يدعوهم إلى المأدبة، فذهب الخادم إلى الأول فقال له: إن سيدي يدعوك، قال له: إن لدي بعض المطالبات عند التجار، وإني ذاهب لإعطائهم توجيهاتي وأوامري، فالتمس المعذرة على عدم حضوري للمأدبة، وذهب الخادم إلى آخر وقال له: إن سيدي يدعوك، فرد عليه قائلاً: لقد ابتعت منزلاً وطلب مني أصحاب المنزل أن أمهلهم يوماً، ولذلك فليس لدي وقت، وذهب إلى آخر وقال له: إن سيدي يدعوك، فقال له: إن صديق لي سوف يتزوج، وأنا أتولى الإشراف على تنظيم مأدبته ولذلك لن أكون قادراً على الذهاب، فالتمس المعذرة على حضور العشاء. وذهب الخادم إلى آخر وقال له: إن سيدي يدعوك، فقال له لقد اشتريت مزرعة وأنا ذاهب إلى جمع إيجارها، ولذلك لن أكون قادراً على الذهاب فالتمس المعذرة.

ورجع الخادم إلى سيده وقال له: إن هؤلاء الذين دعوتهم إلى المأدبة قد اعتذروا لأنفسهم، فقال السيد لخادمه: أخرج إلى الطرقات وآتي بأولئك الذين تجدهم ليأكلوا على مائدتي، إن التجار والحرفيين لا ينبغي أن يدخلوا أماكن أبي " [١].

إن مغزى المثل على طوله وتعدد رواياته يتمحور في العبارة التي ختم بها متى روايته والتي أوردها معللاً بها ما رواه حيث قال:

"لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون"[٢].

وهذا بلا شك شأن دين الله المنزل قبل دينه الخاتم، فهو يتضمن أمنية صادقة لهم بالخير، ورغبة في قبوله، وحث على الانفعال به، وهو كدعوة تشمل أمماً وأقواماً كثر، وقف كل منهم خاصاً، أما دين الله الخاتم فقد اختار الله قلة من الناس كان يشبهون وقتها أولئك الذين تضمهم الطرقات، والزمهم بقبوله والانفعال به، وهو الذي يكون فيهم إلى يوم القيامة.

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 37.

(٢) إنجيل متى ٢٢: ١٤.

المثال السادس

كشف عيسى عليه السلام في هذا المثل عن عموم ملكوت الله للناس أجمعين، فشبهه بالخميرة القليلة التي يظهر تأثيرها في الكمية الكبيرة من العجين، فتجعله صالحاً لصناعة الخبز، والمثل رواه متى ولوقا على النحو التالي:

" قال لهم مثلاً آخر: يشبه ملكوت الله خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاث اكيال دقيق حتى اختمر الجميع "[1].

ورواية توما للمثل مطابقة للرواية السابقة، جاء فيها:

" قال عيسى يشبه ملكوت السماء امرأة أخذت قليلاً من الخميرة وخبأتها في عجين، وصنعت من العجين أرغفة كثيرة، كل من له أذنان سامعتان فليستمع "[2].

وروي توماً أيضاً منفرداً عن باقي الحواريين مثلاً آخر يشابه المثل السابق في المغزي والهدف، ويختلف عنه في الصورة الرمزية، يقول فيه:

" قال عيسى: يشبه ملكوت الله امرأة حملت جرة مملوءة بالدقيق، وبينما هي سائرة على طريق قصي انكسر مقبض الجرة وتدفق الدقيق من خلفها على الطريق، ولم تكن تعرف، كما لم تلاحظ أي شيء ملفت للنظر، ولما دخلت منزلها ووضعت الجرة على الأرض وحدتها فارغة "[3].

المثل السابع

إن هذا المثل من الأمثال التي انفرد توما بنسبتها إلى الملكوت فيقول فيه:

" قال عيسى، يشبه الملكوت راعياً يملك مائة من الخراف، واحد منها ذهب وضل طريقه، وكان هو الأعظم والأكبر منها، فترك الراعي وراءه تسعة

---

(١) إنجيل لوقا ١٣ : ٣١ وإنجيل متى ١٣ : ٢٣.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 49.

(٣) Ibid. P. 49.

وتسعين خروفاً، وبدأ بالبحث عن الواحد حتى وجده، مسبباً لنفسه من التعب والجهد الشيء الكثير، فقال للقطيع أنا أحب هذا أكثر من التسعة والتسعين"[١].

يستفاد من ملكوت الله هنا اهتمامه بالفرد العادي مثل اهتمامه بالمجموع، ويسعى لمعالجة الشارد من المجموع معالجته للمجموع بلا فارق يذكر، وهكذا دين الله الخاتم يولي العناية القصوى للفرد العادي في كل أحواله مستقيماً على منهج الله أو منحرفاً عنه، تماماً مثل عناية الراعي الصالح بخروفه الضال.

وروى كل من لوقا ومتى المثل، ولكن كمثل ضربه عيسى للخاطئ التائب وفرح الله بتوبة الخاطئ، وليس تشبيهاً له بملكوت الله، جاء فيه:

" وكلمهم بهذا المثل قائلاً: أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحداً منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده، وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً، ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: أفرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة"[٢].

المثل الثامن

وهو من الأمثلة التي انفرد توما براويتها ولا نظير له في روايات الحواريين، جاء فيه:

" قال عيسى: يشبه ملكوت الله رجلاً رغب في قتل رجل جبار، فاستل السيف في منزله وغرزه في الحائط، لأجل أن يعرف ما إذا كانت يده تسعفه بعد ذلك على قتل الرجل الجبارة[٣].

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 53.

(٢) إنجيل لوقا ١٥ : ٣ - ٧ وإنجيل متى ١٨ : ١٢ - ١٤.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 51.

يشير المثل إلى فكرة محورية في الملكوت وهي قدرته الفائقة على إمداد الفرد بحصيلة وافرة من الخبرات والتجارب العملية تعينه على مواجهة الشدائد التي لا يقدر على التصدي لها بقواه الذاتية، فهو يمنحه دوماً معيناً لا ينضب من الوسائل لمنازلة عدوه.

الأمثلة الرمزية

تضمنت خطب عيسى ومواعظه على بعض الأمثلة التصويرية، أراد من خلالها التعبير عن معان تكون مقبولة وسائغة لدى مستمعيه على مختلف مشاربهم ومداركهم الفكرية، معولاً على الرمز كبديل وممثل لها، نذكر منها:

المثل الأول

ضمن خطبة تعليمية ألقاها عيسى من فوق منبر الخطابة في الهيكل ضرب المثل التالي الذي رواه كل من متى ولوقا ومرقس وبرنابا بمعان وعبارات متقاربة، نورد هنا رواية مرقس التالية:

" وابتدأ يقول لهم بأمثال: إنسان غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر حوض معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر، ثم أرسل الكرامين في الوقت عبداً ليأخذ من الكرامين من ثمر الكرم، فأخذوه وجلدوه وأرسلوه فارغاً، ثم أرسل إليهم عبداً آخر، فرجموه وشجوه وأرسلوه مهاناً، ثم أرسل آخر فقتلوه ثم آخرين كثيرين فجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً، فإذا كان له أيضاً ابن وحيد حبيب إليه أرسله أيضاً إليهم قائلاً: يهابون ابني، ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث هلموا نقتله فيكون لنا الميراث، فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج الكرم " [١].

أما رواية توما فجاءت بناؤها هي الأخرى على دلالة المثل، وأبقت على العناصر الأساسية التي تشكل بناؤه الرمزي، ودون الدخول في التفاصيل الدقيقة

---

(١) إنجيل مرقس ١٢: ١ - ٩.

والتفريعات المتناثرة في رواية إخوانه إلا أنه رواه في قالب وإطار تصويري تفرد به عليهم، جاء فيه:

" قال عيسى: كان لرجل صالح كرم سلمه إلى كرامين ليعملوا فيه ثم يتسلم منهم ثماره، وفي وقت الحصاد أرسل أحد عبيده ليسلمه الكرامون ثمار الكرم، فقبضوا عليه وأوسعوه ضرباً لفترة قصيرة أوشكوا فيها على قتله، فعاد العبد وأخبر سيده بما جرى له، فقال سيده ربما لم يعرف الكرامين العبد، فأرسل عبداً آخر فأوسعه الكرامون ضرباً أيضاً، عندئذ أرسل الملك ابنه قائلاً: لعلهم يحترمون ابني، ولما عرف الكرامون أن ابنه هو الوارث الوحيد للكرم، قبضوا عليه ثم قتلوه، من كان له أذنان سامعتان فليسمع "[(١)].

ويحتاج المثل السابق ككل الأمثلة التي ترد على نسق رمزي ودالة على معان خاصة إلى شرح وتفسير تزيح عنها تلك الرمزية وتكشف عن حقيقتها، وبرنابا وحده هو الذي ذكر تفسير عيسى للمثل، في حين روى غيره أموراً أخرى لا صلة لها بالمثل، قال فيه عيسى:

" إلا تعلمون أن الكرم هو بيت إسرائيل والكرامين شعب يهوذا واروشليم، ويل لكم لأن الله غاضب عليكم، لأنكم بقرتم كثيرين من أنبياء الله "[(٢)].

المثل الثاني

ضمن حديث طويل وخاص لعيسى مع حوارييه حول اليوم الآخر وأهوال القيامة مكابدة الكافرين للعذاب في نار جهنم، ضرب لهم مثلاً بسيطاً ومباشراً وبلا إغراق واضح في الرمزية رواه متى وبرنابا بصورة مختلفة عن الآخر، قال فيه متى على لسان عيسى:

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 39.

(٢) إنجيل برنابا ص ٩٨.

" اعلموا هذا: إنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق يسهر ولم يدع بيته ينقب، لذلك كونوا أنتم مستعدين "[١].

وروى برنابا أيضاً وعلى لسان عيسى قوله:

" أي أبى أسرة ينام وقد عرف أن لصاً عزم على نقب بيته، لا أحد البتة، بل يسهر ويقف متأهباً لقتل اللص "[٢].

وجاءت رواية توما متطابقة إلى حد كبير مع هاتين الروايتين، إلا أنها تنزع منزعاً تضاءل فيه المثل إلى حد أوشك فيه على التلاشي، فقال فيه عيسى:

" مبارك ذلك الذي يعرف في أي جزء من الليل يأتيه اللصوص، فهو يسهر ويشمر عن ساعد الجد قبل مجيئه "[٣].

ومن البين في رواية توما أن عيسى قد نبه وبما يشبه الدعاء على ثبوت وتحقق الخير في كل إنسان يقف آخذاً الحيطة والحذر، وعلى أهبة الاستعداد للتصدي لمن يروم به شراً بينما استخدم متى وبرنابا أدوات الجزم، فمتى لجأ في روايته إلى حرف لو غير الجازم، وذلك كي يفيد السامع أن تنقيب البيت ممتنع إذ هو امتنع عن النوم، أما برنابا فاستخدم أي الجازمة والدالة لا على حدوث السهر على سبيل القطع والثبوت، بل أيضاً على القيام به بعزم وثقة، وبالتالي فلا مجال أمام أحد للتنقيب والسرقة.

وأي ما كان أوجه الروايات الثلاث، فإن المثل بباسطته وتلقائيته يشبه اللص بالشيطان الذي لا يتسلسل إلى قلوب العباد إلا على حين غفلة، وفي الأوقات التي يقل فيها الحذر والتيقظ، والعبد المؤمن وحده هو الذي يعرف جيداً مداخل الشيطان وطرق وكيفية ولوجه، لذلك فهو يتهيأ له مستجمعاً كل قواه لمنعه من إحداث أي شرخ في عقيدته وعبادته.

---

(١) إنجيل متى ٢٤: ٤٣ - ٤٤.

(٢) إنجيل برنابا ص ١١٧.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 53.

المثل الثالث

ووجه الحواريون بعد درس من دروس عيسى التعليمية حول العلم بمشكلة التمييز بين الحق والباطل في دعوات الأنبياء الأدعياء والمعلمين الكذبة، فسألوه عن الكيفية التي يفرقون بها بينها، فأجابهم بهذا المثل الذي أوجزه برنابا في قوله:

" يذهب رجل ليصاد بشبكة فيمسك فيها سمكاً كثيراً والرديء منه يطرحه "[1].

أما توما فقد رواه مفصلاً على النحو التالي:

" إن الإنسان مثل صياد السمك الحكيم الذي ألقى بشبكته في البحر، ثم سحبها وهي مليئة بصغار السمك، وفي وسط صغار السمك عثر على سمكة كبيرة وبحالة جيدة، فرمى الصياد الحكيم بصغار السمك في البحر، مفضلاً السمكة الكبيرة على سائر السمك، بلا أسى على ضياع السمك الصغار، من كان له أذنان للسمع فليسمع "[2].

والمقصود الذي أراد عيسى إيصاله إليهم هو: وجوب إصغاءهم لكل من يحمل علماً ومعرفة، أياً كانت الصفة التي يحملها ويكلمهم بها، على ألا يقبلوا منه إلا ما هو حق ونافع، تماماً مثل الصياد الحكيم الذي اصطاد سمكاً من مختلف الأحجام فرمي ما لا قيمة له محتفظاً فقط بما له قيمة وفائدة.

وروى متى المثل السابق مقروناً، بملكوت السماء ككل الأمثال التي رواها إنجيله، ويكون بذلك قد جرده من صفته التعليمية والتي كانت هي مقصود رواية توما وبرنابا، جاء فيه:

" يشبه ملكوت الله شبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل نوع فلما امتلأت أصعدوها على الشاطئ وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية، وأما الأردياء

---

(١) إنجيل برنابا ص ٩٨.

(٢) The Gospel According to Thomas P. 5.

فطرحوها خارجاً، هكذا يكون انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفـرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم في أتون النار "[١].

المثل الرابع

ورد هذا المثل ضمن خطبة لعيسى أمام جمع غفير من صيادي السمك والبحارة، اشتملت في معظمها على أمثال تتفق مع مدارك هؤلاء البسطاء والمثل ورد عند كل من متى ومرقس ولوقا وبرنابا بمعنى واحد وعبـارات متقاربة نكتفي هنا برواية مرقس القائلة:

" أسمعوا هوذا الزارع قد خرج ليزرع، وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق، فجاءت طيور السماء وأكلته وسقط آخر على مكان محجر حيث لم تكن له تربة كثيرة فنبت حالاً، إذا لم يكن له عمق أرض، ولكن لما أشرقت الشمس احترق، وإذا لم يكن له أصل جـف وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه فلم يعط ثمراً، وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمراً يصعد وينمو، فأتي واحد بثلاثين والآخر بستين وآخر بمائة "[٢].

ورواية توما للمثل مطابقة للرواية السابقة مع تغير طفيف لا يؤثر كثيراً في معناه، قال فيها:

" انظر إلى الزارع وقد خرج من منزله ويده ممتلئة بالبذور، وبدأ يلقي بها، فالبعض منها وقع على الطريق فجاءت الطيور والتقطتها، والبعض منها وقع على الصخر، فلم تتمكن من أن تضرب بجذورها في الأرض، وبالتالي لم يظهر لها سنابل، والبعض منها وقع على الشوك فاختنقت البذور، ثم جاءت عاصفة وقضت عليها، والبعض منها وقع على الأرض الخصبة، فأثمرت ثماراً يانعه يتراوح مقدارها ما بين الستين ومائة وعشرون "[٣].

---

(١) إنجيل متى ١٣: ٤٧ - ٤٩.

(٢) إنجيل مرقس ٤: ٣ - ٨.

(٣) The Gospel According to Thomas P. 7.

وروى أيضاً كل من متى ومرقس ولوقا تفسير المثل، نورد هنا رواية برنابا لاشتمالها على معاني فاتت على أولئك، جاء فيها:

" إن الرجل الذي يزرع على الطريق أو على الحجارة أو على الشوك أو على الأرض الجيدة، هو من يعلم كلمة الله التي تسقط على عدد غفير من الناس، تقع على الطريق متى جاءت إلى أذان البحارة والتجار الذين أزال الشيطان كلمة الله من ذاكرتهم بسبب الأسفار الشاسعة التي يزمعونها وتعدد الأمم التي يتجرون معها، وتقع على الحجارة متى جاءت إلى أذان رجال البلاط لأن سبب شغفهم بخدمة شخص الحاكم لا تنفذ إليهم كلمة الله، وتقع على الشوك متى جاءت إلى أذان الذين يحبون حياتهم، لأنه إذا نمت الأهواء الجسدية خنقت البذور الجيدة كلمة الله، لأن رغد العيش الجسدي يبعـث على هجران كلمة الله، أما التي تقع على الأرض الجيدة فهو ما جاء من كلمة الله إلى أذني من يخاف الله حيث تثمر الحياة الأبية، الحق أقول لكم إن كلمة الله تثمر في كل حال متى خاف الإنسان الله " (١).

المثل الخامس

وهذا المثل ألقى أيضاً على المجموعة السابقة من البحارة وصيادي السمك، ورواه أيضاً كل من مرقس ولوقا على النحو التالي:

" وليس أحد يوقد سراجاً ويغطيه بإناء أو يضعه تحت سرير بل يضعه على منارة لينظر الداخلون إلى النور، لأنه ليس خفي لا يظهر ولا مكتوم لا يعلم ويعلن " (٢).

وروى توما المثل السابق بزيادة يسيرة لا تؤثر في مضمونه، قال فيه:

" لماذا تستمع في أذنك هذه وأذنك الأخرى إلى تلك الموعظة من على أسطح المنازل، وذلك لأنه لا يوجد أحد يضيء المصباح ويضعه تحت المكيال،

---

(١) إنجيل برنابا ص ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) إنجيل مرقس ٤: ٢١ - ٢٢ وإنجيل لوقا ٨: ١٦ - ١٧.

كما لا يمكن أن يضعه في مكان خفي، ولكنه يضعه على قاعدة المصباح كي يتمكن الغادي والرائح من رؤية ضوءه "[١].

وروى توما أيضاً وبصورة مفصلة قوله عليه السلام:

" إن المدينة التي بنيت على قمة جبل شاهق وحصنت جيداً، لا يمكن أن تسقط ولا يمكن أن تخفى على أحد "[٢].

إن الهدف المباشر الذي يكشف عنه المثل هو أن كلمة الحق طال عليها الزمن أم قصر ستظهر للناس، وكلمة الحق في قابليتها للظهور مثل كل شيء صادق وثابت لا يمكن أن يظل طي الكتمان إلى ما لانهاية. بل هو حتمي الظهور آجلاً أو عاجلاً، مثله في ذلك مثل من أوقد مصباحاً فإنه من المستحيل أن يضعه في مكان لا يظهر فيه ضوءه، بل يضعه على القاعدة التي أعدت له خصيصاً بحيث منها ينتشر نوره فيراه كل رآء.

المثل السادس

ألقى عيسى عليه السلام مجموعة أمثلة ذات مضمون واحد ضمن موعظة الجبل ورواها كل من متى ومرقس ولوقا، قال فيها عيسى:

" ليس أحد يضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق، وإلا فالجديد يشقه، والعتيق لا توافقه الرقعة التي من الجديد، وليس أحد يجعل خمراً جديدة في زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديد الزقاق فهي تهرق والزقاق تتلف بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة فتحفظ جميعاً، وليس لأحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد، لأنه يقول العتيق أطيب "[٣].

وسلك توما في روايته مسلك الرواية السابقة، جاء فيها:

" من المستحيل على الإنسان أن يمتطي صهوة جوادين، ويشد قوسين في

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 21-23.

(٢) Ibid. P. 21.

(٣) إنجيل لوقا: ٥: ٣٦ - ٣٨.

وقت واحد، كما أنه من المستحيل على العبد أن يخدم سيدين، وإلا فإنه إذا نال احترام الأول أغضب الثاني، وليس هناك أحد يضع الخمر القديمة في زقاق قديمة مخافة أن تنفجر، ولا يضعون الخمر القديمة في زقاق جديدة خشية أن تفسدها، كما أنهم لا يخيطون رقعة قديمة على ثوب جديد، لأن ذلك يكون سبباً للحزن والغضب »[1].

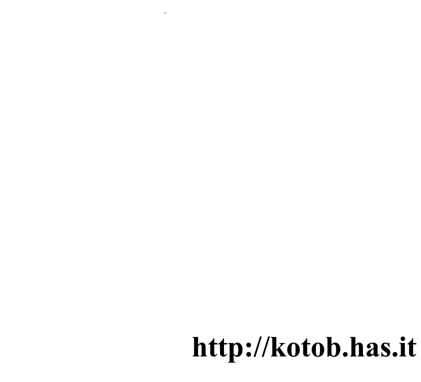
واكتفي برنابا بمثلين فسر من خلالها مراد عيسى عليه السلام فروى عنه قوله:

« عظيمة هي النعم التي أنعم بها الله علينا، فترتب علينا من ثم أن نعبده بإخلاص قلب، وكما أن الخمر توضع في أوعية جديدة هكذا يترتب عليكم أن تكونوا رجالاً جدداً إذا أردتم أن تعوا التعاليم الجديدة التي ستخرج من فمي، الحق أقول لكم كما أنه لا يتأتي للإنسان أن ينظر بعينه إلى السماء والأرض معاً في وقت واحد، فكذلك يستحيل عليه أن يحب الله والدنيا، لا يقدر رجل أبداً أن يخدم سيدين أحدهما عدو للآخر، لأنه إذ احبك أحدهما أبغضك الآخر، فكذلك أقول لكم حقاً إنكم لا تقدرون أن تعبدوا الله والدنيا، لأن الدنيا موضوعة في النفاق والجشع والخبث، لذلك لا تجدون راحة في الدنيا، بل تجدون بدلاً منها اضطهاد وخسارة اعبدوا الله واحتقروا الدنيا »[2].

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 27,29.

(٢) إنجيل برنابا ص ٥٣، ٥٤.



الفصل الخامس

أقوال انفرد توما بروايتها

احتوت رواية توما للإنجيل على طائفة من الأقوال لا نظير لها في سائر الأناجيل، وصاغها هو كتابة على النحو الذي ينسجم مع منهجه في الرواية عن عيسى عليه السلام وتفاصيلها كما يلي:

كشف المحجوب

بيّن عيسى لحوارييه وغيرهم أن ظاهرة الستر والمنع التي تلقي على الأشياء ظلالاً قاتمة من الغموض والإبهام، هي ظاهرة زائلة لا محالة، فسرعان ما ينكشف عنها الغطاء، ويرفع عنها مستورها، جاء توضيح ذلك في قوله لهم:

" أعرف ما هو ظاهر ومشاهد لك، أما ما هو محجوب عنك، فسيكشف لك عنه ولو بعد حين، إذ لا يوجد شيء محجوب عن الأنظار لا يظهر ويبتدئ للعيان " (١).

وعندما سأله الحواريون:

" هل لك أن تعلمنا كيف نصلي وكيف نعطي الصدقات، وما نوع الغذاء الذي نتقيد به صوناً لأبداننا وحماية لها من الأمراض، أجابهم:

---

(١) The Gospel According to Thomas P. 55.

" لا تغشوا أنفسكم ولا تفعلوا ما هو بغيض لكم، فكل الأشياء ظاهرة وماثلة أمام الله، إذ ليس هناك شيء يظل محجوباً لا يكشف عنه، كما ليس هناك شيء مستوراً على حاله دون أن يرفع عنه ستره وغطاءه " (١).

ثم قرن ظهور الأشياء وتبديها للعيان بشخصه فقال لهم:

" من يشرب من فمي يتحول كأنا، وأنا نفسي أتحول هو، ومن ثم فإن الأشياء الخفية تظهر وتكشف له " (٢).

الحواريـون

على الرغم من أن عيسى قد خص حوارييه بمعظم ما أوحى به إليه ثم أمرهم بالتبشير في قومه بما سمعوه منه شفاهه، وتولوا هم من جانبهم نشر أقواله التي سمعوها منه وكما لو كانت للناس أجمعين، إلا أن الأقوال التالية تحمل في مضمونها صفة الخصوصية، وهذه الأقوال هي:

[ ] سأعطيك ما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا يد لمست وما لم يخطر على قلب بشر " (٣).

[ ] سأل الحواريون عيسى:

" قل لنا كيف تكون خاتمة أمرنا، فسألهم بدوره هل أطلعتم على البداية إلى حد أنكم تسألون عن النهاية، وذلك لأنه حيث تكون البداية هناك تكون النهاية، مبارك ذلك الذي يقف على البداية لأنه حين إذن يعرف النهاية، ولن يذوق طعم الموت " (٤).

[ ] سألت مريم عيسى قائلة: من يشبه حواريوك؟

---

(١) Ibid. P. 55.

(٢) Ibid. P. 5.

(٣) Ibid. P. 13.

(٤) Ibid. P. 15.

فأجابها: إنهم يشبهون أطفالاً وضعوا أنفسهم في حقل ليس لهم، ولما جاء أصحاب الحقل قالوا لهم: اتركوا لنا حقلنا، فخلع الأطفال ملابسهم أما ملاك الحقل وذلك كي يتخلوا له عن الحقل، ويعيدوا إليه حقله، لذلك أقول لكم:

" إذا كان صاحب البيت يعرف أن اللص قادم، فسيظل مستقيظاً له قبل مقدمه، ولم يسمح له بالحفر في المنزل الذي يعد مملكة له، ليحمل ما يشاء من أغراضه الشخصية، ولذلك يجب عليكم أن تسهروا من أجل العالم، شمروا عن ساعديكم وبكل ما أوتيتم من قوة، لئلا يجد اللصوص طريقاً للوصول إليكم، لأن اللصوص دائماً يجدون المنفعة فيما تترقبونه وليكن فيكم دوماً الرجل الذي يتمتع بالفهم والذكاء، وذلك لأنه عندما تنضج الثمار فسيأتي بسرعة حاملاً منجله في يده ليحصدها، من كان له أذنان سامعتان فيسمع " [١].

[ ] قال عيسى: " لقد رغبتم مرات كثيرة في الاستماع إلى هذه الكلمات التي قلتها لكم، وليس لكم أحد من الذين تستمعون إليهم، وستكون هناك أيام تبحثون فيها عني ولا تجدوني " [٢].

* قال عيسى: كونوا عابري سبيل " [٣].

* قال الحواريون لعيسى " من أنت الذي تقول لنا هذه الأشياء، فقال لهم: من ماذا أنا قلت لكم، إنكم لا تعرفون من أنا ولكنكم قد أصبحتم مثل اليهود، وذلك لأن اليهود احبوا الشجرة وكرهوا ثمارها، واحبوا الثمار وكرهوا الشجرة" [٤].

---

(١) Ibid. P. 23.

(٢) Ibid. P. 25.

(٣) Ibid. P. 25.

(٤) Ibid. P. 26

الجسم والروح

روى الحواريون عن عيسى الكثير من خطبه التي عالجت العلاقة الأزلية بين الروح والجسم، أو بين الماديات والروحانية، وروى منها توما ما وعتــه ذاكرته ولكنها لا تشابه روايات إخوانه، إذا اخفي عليها قدراً كبيراً من الغموض والإبهام نوردها هنا بتمامها:

[ ] قال عيسى: " لقد اتخذت مكاني في قلب العالم، وبالجسد ظهرت للخلق، فوجدتهم سكارى ليس فيهم من يتوق أو يتشوق إلى شيء. إن روحي حزينة من أجل أبناء الناس، لأن قلوبهم عمياء ولا يرون الباطل الذي ادخلوه في عالمهم. ذلك الباطل الذي يتلاشي في العالم من جديد، ولكنهم الآن سكارى، وعندما يفيقون من تأثير الخمر، ساعتهـا يندمون أشد الندم " (١).

[ ] قال عيسى: " إذا كان الجسد قد جاء إلى الوجود بسبب الروح، فإن هذا في حد ذاته معجزة، ولكن إذا جاءت الروح إلى الوجود لأنها معجزات المعجزات، فإني أتعجب من الجسد كيف أن هـذا الغني الكبير قد أحال مواطنه إلى هذا الحد من الفقر والعوز " (٢).

[ ] قال عيسى: "كل من عرف العالم فقد وجد الجسم، وكل من وجد الجسم فإن العالم بالنسبة إليه لا يستحق الاهتمام " (٣).

[ ] قال عيسى بئس هو الجسم الذي يركن إلى جسم مثله، وبئس هي الروح التي تعتمد على هذين الجسمين " (٤).

[ ] قال عيسى: "الويل للجسم الذي يركن للروح، وويل للروح التي تركن للجسم" (٥).

---

(١) Ibid. P. 21.

(٢) Ibid. P. 45.

(٣) Ibid. P. 47.

(٤) Ibid. P. 47

(٥) Ibid. P. 55

الملكـوت

اتخذ الملكوت في الروايات التي انفرد بها توما معنى غير المعنى الـذي أشرنا إليه من قبل، ومخالف ليس فقط لمعناه المألوف عند الحواريين، بل أيضاً للمعنى المصطلح عليه في أدبيات الإنجيل، فيروي توما عن عيسى قوله:

[ ] " طوبى لك أيها المعتزل المختار، لأنك ستجد الملكوت، فمنه أتيت وإلى هناك تذهب مرة أخرى "(١).

[ ] " كل من هو قريب مني فهو قريب من النار، وكل من هو بعيد عني فهو بعيد عن الملكوت "(٢).

الكلام حول عيسى عليه السلام

من الأقوال التي رواها توما ولها علاقة مباشرة بعيسى عليه السلام، قوله:

[ ] قال له الحواريون: " أربع وعشرون نبياً تكلموا في إسرائيل، وجميعهم تكلموا عنك، فقال لهم: لقد طردتم الواحد الحي الذي هو أمامكم، وتكلمون عن الميت "(٣).

[ ] قال له الحواريون: " قل لنا من أنت كي نؤمن بك، فقال لهم: لقد اختبرتم وجه السماء والأرض، أما من هو ماثل أمامكم فلم تعرفوه، كما لم تعرفوا متى اختبار هذه اللحظة "(٤).

---

(١) Ibid. P. 29.

(٢) Ibid. P. 45.

(٣) Ibid. P. 31.

(٤) Ibid. P. 47

الحياة الدنيا

روى الحواريون عن عيسى وباستفاضة مواعظاً ونصائحاً عن الحياة الدنيا وشرورها، عدا توما الذي روى هذه الأقوال الأربعة وعلى نحو لم يشاركه فيها غيره، وهي:

[ ] قال عيسى: " إن كل من يعرف الدنيا، فقد عثر على جيفة، وكل من عثر على جيفة فإن الدنيا بالنسبة إليه لا تستحق التقدير "[١].

[ ] قال عيسى: " طوبى للإنسان الذي يتألم ويقاسي، لأنه وجد الحياة "[٢].

[ ] قال عيسى: " تطلع إلى الواحد الحي ما دمت حياً، وذلك خوفاً من أن تموت وتبحث عنه لتراه فلا تقدر على رؤيته "[٣].

[ ] قال عيسى: " إن السماء والأرض ستجتمع في حضورك، وإن الذي يعيش في الواحد لن يعرف الموت ولا الخوف، لأن عيسى يقول: كل من يجد نفسه فإن الدنيا عنده لا تسوى شيئاً "[٤].

المعرفة

حول موضوع المعرفة وحديث النفس روى توما عن عيسى ما نصه:

[ ] قال عيسى: " من يعرف الكل ويعجز عن معرفة نفسه، فهو مفتقر إلى كل شيء "[٥].

[ ] قال عيسى: " إذا تحدثتم بما في داخل نفوسكم، فإن ذلك هو الذي

---

(١) Ibid. P. 31.

(٢) Ibid. P. 31.

(٣) Ibid. P. 55.

(٤) Ibid. P. 54

(٥) Ibid. P. 41

يخلصكم، وإذا لم يكن لكم شيئاً داخل نفوسكم، فذلك هو الذي يقتلكم"[١].

[ ] قال عيسى: " إن الأفكار تتجلى للإنسان، غير أن نورها كامن في فكرة نور الله، والله سيظهر نفسه، وأما فكرته فمحجوبة بنوره "[٢].

[ ] قال عيسى: " عندما ترى من يشبهك ويماثلك فإنك تفرح وتبتهج، ولكن عندما ترى أفكارك التي خرجت إلى الوجود ماثلة أمامك، والتي لا هي باهتة ولا جلية، فإلى أي مدى تقوى على التحمل "[٣].

---

(١) Ibid. P. 55.

(٢) Ibid. P. 49.

(٣) Ibid. P. 49.

الفصل السادس

الروايـــات الشـــــاذة

إضافة إلى الأقوال التي انفرد توما برواياتها دون سائر إخوانه من الحواريين، هناك طائفة أخرى من الأقوال نسبها إلى عيسى، ولكنها أقوال شاذة ومخالفة للعقل، والحكم عليها بالشذوذ ليس من قبيل أفراده براوياتها دون أصحابه، بل لكونها معارضة لهدف البعثة العيسوية وغايتها ومضادة للبعد التبشيري في نبوة عيسى، ومناهضة لروح الموضوعات التي دارت حولها روايات إخوانه في أناجيلهم.

ونورد فيما يلي نص تلك الأقوال:

[ ] " مبارك الأسد الذي أكله الإنسان، لأن الأسد يتحول إلى إنسان، وملعون الإنسان الذي أكله الأسد، لأن الأسد يتحول إلى إنسان "[1].

[ ] " إن هذه السماء زائلة لا محالة، وزائل كذلك ما فوقها، وأن الأموات ليسوا أحياء، كما أن الأحياء لن يموتوا، وفي الوقت الذي تقلق فيه على الميت فإنك تحييه، وحين تصبح معروفاً ماذا تفعل ؟ إنك في يوم ما كنت واحداً ثم صرت اثنين، ولكن حين تكون اثنين ماذا تفعل "[2].

---

(١) Ibid. P. 5.

(٢) Ibid. P. 7.

[ ] "لا تهتم بما تريده من الصباح حتى المساء، ومن المساء حتى الصباح"[1].

[ ] " كل من كان بين يديه شيء فينبغي أن يعطي ويمنح، وأيما شخص ليس بين يديه شيء فمنه ينبغي أن يؤخذ حتى القدر اليسير الذي بحوزته"[2].

[ ] " إذا قالوا لك من أين كانت بداية نشأتك، فقل لهم لقد أتينا من النور حيث نشأ النور من تلقاء ذاته، ولقد ظل النور ثابتاً ثم أظهر نفسه في صورهم وإشكالهم، وإذا قالوا لك من أنت، فقل لهم نحن أبناء الله ونحن مختارو الأب الحي، وإذا سألوك ما علامة الله فيك، فقل لهم: إنها الحركة والسكون " [3].

[ ] " رأوا سامرياً يحمل حملاً في طريقه إلى اليهودية، فقال عيسى لحوارييه متسائلاً: لماذا يحمل هذا الرجل حملاً ؟ فقالوا له: لعله يريد أن يأكله، فقال لهم: ما دام الحمل على قيد الحياة فإنه لا يقدر على أكله، اللهم إذا ذبحه وتحول الحمل إلى جثة، فقالوا له: وإلا فإنه لن يقدر على فعله، فقال لهم: وأنتم تنشدون موضعاً لراحة نفوسكم مخافة أن تصبحوا جثة وتوكلون"[4].

[ ] " يا رب هناك الكثير حول الحوض، ولكن لا أحد في الحوض" [5].

[ ] " لقد جاء آدم إلى الحياة والوجود من قوة عظيمة وكبيرة، ورغم ذلك لم يصبح بعد مستحقاً لكم، وذلك لأنه إذا كان مستحقاً لكم فلن يذوق طعم الموت"[6].

[ ] " كل من يعرف الأب والأم سيدعى ابن البغي " [7].

---

(١) Ibid. P. 23.

(٢) Ibid. P. 25.

(٣) Ibid. P. 29.

(٤) Ibid. P. 33.

(٥) Ibid. P. 47

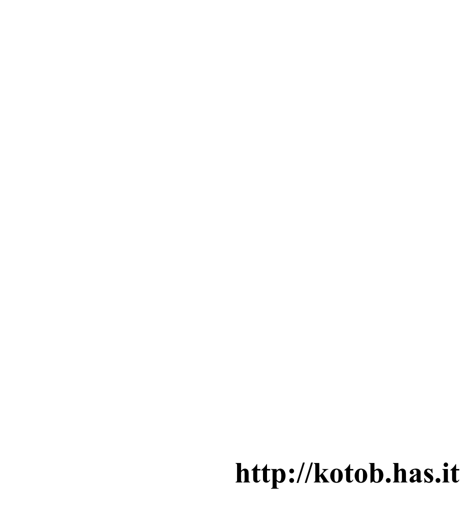
(٦) Ibid. P. 53

(٧) Ibid. P. 57.

[ ] " قال لهم سمعان بطرس: اطلبوا من مريم أن تخرج من بيننا، لأن النساء لا يستحقن الحياة، فقال عيسى: إني سأقودها إلى الخارج لأجل منها ذكراً، وبذلك يمكنها أن تتحول إلى روح حية وتشبهكم أنتم أيها الذكور، إن كل امرأة جعلت من نفسها ذكراً ستدخل ملكوت السماء"[١].

---

(١) Ibid. P. 58.



المصـــادر

المصادر العربية

١ - برنابا، إنجيل برنابا، ترجمة د. خليل سعادة، تحقيق سيف الله أحمد فاضل، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣.

٢ - رحمة الله بن خليل الهندي، إظهار الحق ج (٤) تحقيق محمد أحمد ملكاوى، المؤسسة العامة للدراسات والبحوث العلمية، الرياض، ١٩٨٩.

٣ - عبد الأحد داؤد، الإنجيل والصليب، ترجمة مسلم عراقي، بدون نشر، طبع في القاهرة، ١٤٥١هـ.

٤ - الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت، بدون تاريخ.

المصادر الإنجليزية

1- Aziz S. Atiya, Ahistory of Eastern christianity, Methuen & Co LTD. Lndon, 1968.

2- Ernest Wallis Budge, The Contendings of the Apostles, Apa-philo Press, Amsterdam, 1976.

3- The Gospel According to Thomas, Translated by A. Guillaumont, H. Puech, G. Quispel, W. Tiu, and Abd Almasih, Leiden, E. J. Brill, London, Collins, 1959.

4- The Oxford Dictionary of Saints, Edited by David Hugh Farmer, Clarendon Press, London, 1978.

5- The New Encyclopaedia Britannica, Voll, 11, 15 Edition, Printed in U. S. A.

د. الشفيع الماحي أحمد

- حائز على درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية من جامعة الخرطوم.
- له مقالات عديدة في مختلف القضايا الإسلامية.
- نشرت له بحوث ودراسات علمية محكمة.

من مؤلفاته :

- محمد صلى الله عليه وسلم في بشارات التوراة والإنجيل، نشر بمركز البحوث التربوية، جامعة الملك سعود، ١٩٩٥، الرياض.
- ياجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، بيروت.
- مؤمن آل فرعون، حفيد المرأة الكاملة وابن الرجل الصالح، دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٩.
- زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة الكويت، ٢٠٠١م، الكويت.



بيروت : تلفاكس 664499 (9611+) ص.ب 14/6380
الرياض : هاتف 4162527 (9661+) ص.ب 250641 الرمز 11391
دمشق : هاتف 2230914 (96311+) ص.ب 7603
www.daralwarak.com e-mail : warrak@zajil.net